سُورَةُ يُوسُفَ

مَكِّيَّةٌ [إِلاَّ الآيَاتِ ١ و٢ و٣ و٧ فَمَدَنِيَّةٌ]

وهي مائةٌ وإحدى عشرةَ آيَةً [نزلت بعد سورة هود]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: السورة، أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا نشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف، فقد روي أن علماء اليهود. قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وسمي بعض القرآن قرآناً؛ لأنّ القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿ٱلْقَصَصُ﴾ على وجهين: يكون مصدراً بمعنى: الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصه قصصاً؛ كقولك: شله يشله شلاً، إذا طرده، ويكون: «فعلاً» بمعنى: «مفعول»، كالنفض والنسب؛ ونحوه: النبأ والخبر: في معنى المنبأ به والمخبر به، ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر، كالخلق والصيد، وإن أريد المصدر، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن القصص، ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون المقصوص محذوفاً؛ لأنّ قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: مغن عنه، ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص/ ١٦٥أ، كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك، والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب أسلوب؛ ألا ترى أنّ هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً؛ لاقتصاصه في القرآن، وإن

أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث؛ وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر، والنكت، والحكم، والعجائب، التي ليست في غيرها[1]، والظاهر: أنه أحسن ما يقتص في بابه، كما يقال في الرجل: هو أعلم الناس وأفضلهم، يراد في فنه.

فإن قلت: ممّ اشتقاق القصص؟

قلت: من قصّ أثره إذا اتبعه؛ لأنّ الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً، كما يقال: تلا القرآن، إذا قرأه؛ لأنه يتلو، أي: يتبع ما حفظ منه آية بعد آية، ﴿وَإِن كُنتَ﴾: إن مخففة من الثقيلة، واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾: راجع إلى قوله: «ما أوحينا»، والمعنى: وإنّ الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه، أي: من الجاهلين به، ما كان لك فيه علم قط، ولا طرق سمعك طرف منه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾: بدل من أحسن القصص، وهو من بدل الاشتمال؛ لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص، فإذا قصّ وقته فقد قص، أو بإضمار: «اذكر»، ويوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربيًا لانصرف؛ لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف.

فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ: (يوسِف) بكسر السين، أو: (يوسَف) بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: «هو عربي»؛ لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف؛ وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل؟

قلت: لا؛ لأنّ القراءة المشهورة قامت بالشهادة، على أن الكلمة أعجمية، فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف: يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث، ولا يقال: هو عربي؛ لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس، وعن النبي ﷺ: «إِذَا قِيلَ: مَنِ الكَرِيمُ؟ فَقُولُوا: الكَرِيمُ ٱبْنُ الكَرِيمِ ٱبْنُ الكَرِيمِ ٱبْنُ الكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنِ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» (٧٧٥)، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: قرئ بالحركات الثلاث.

---

٧٧٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٣) كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة يوسف حديث (٣١١٦)، والنسائي =

---

(١) قوله: «ليست في غيرها» لعله «في غيره» كعبارة النسفي (ع).

فإن قلت: ما هذه التاء؟

قلت: تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة، والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف.

فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟

قلت: كما جاز نحو قولك: حمامة ذكر، وشاة ذكر، ورجل ربعة، وغلام يفعة.

فإن قلت: فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة؟

قلت: لأنَّ التأنيث والإضافة يتناسبان في أنّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الإسم في آخره.

فإن قلت: فما هذه الكسرة؟

قلت: هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي، قد زحلقت إلى التاء؛ لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً.

فإن قلت: فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء، وتبقى التاء ساكنة؟

قلت: امتنع ذلك فيها؛ لأنها اسم، والأسماء: حقها التحريك؛ لأصالتها في الإعراب؛ وإما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرّك تخفيفاً؛ لأنها حرف لين، وأما التاء: فحرف صحيح نحو كاف الضمير، فلزم تحريكها.

فإن قلت: يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوّض منه؛

= في «التفسير» رقم (٢٧٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٠٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٥٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وقال التِّرمذي: حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٦/ ٤٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت رقم (٣٣٨٢)، وذكره في كتاب التفسير (٨/ ٢١٢) باب: ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق رقم (٤٦٨٨).

قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي والنَّسائي والحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم... إلى آخره» وفي البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكريم بن الكريم إلى آخره»، وهو في المتفق عليه عن أبي هريرة لكن بلفظ: «سُئل النبي ﷺ: أي الناس أكرم؟ فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: يا رسول الله، ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله». انتهى.

لأنها في حكم الياء، إذا قلت: يا غلام، فكما لا يجوز: «يا أبتي»، لا يجوز: «يا أبت».

قلت: الياء والكسرة قبلها شيءان، والتاء عوض من أحد الشيئين، وهو الياء والكسرة غير متعرض لها، فلا يجمع بين العوض والمعوض منه، إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير؛ ألا ترى إلى قولهم: «يا أبتا» مع كون الألف فيه بدلاً من التاء، كيف جاز الجمع بينها وبين التاء، ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوّض منه، فالكسرة أبعد من ذلك.

فإن قلت: فقد دلت الكسرة في: «يا غلام» على الإضافة؛ لأنها قرينة الياء ولصيقتها.

فإن دلت على مثل ذلك في: «يا أبت»، فالتاء المعوّضة لغو: وجودها كعدمها.

قلت: بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي.

فإن قلت: فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها؟

قلت: أما من فتح فقد حذف الألف من: «يا أبتا»، واستبقى الفتحة قبلها، كما فعل من حذف الياء في: «يا غلام»، ويجوز أن يقال: حركها بحركة الباء المعوض منها في قولك: «يا أبي»، وأما من ضم، فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: «يا أبت»، كما تقول: «يا تبة»[1]، من غير اعتبار؛ لكونها عوضاً من ياء الإضافة، وقرئ: «إني رأيت»: بتحريك الياء، وأحد عشر: بسكون العين؛ تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في ختم اسم واحد، وكذا إلى تسعة عشر، إلا اثني عشر؛ لئلا يلتقي ساكنان، ورأيت من الرؤيا، لا من الرؤية؛ لأنَّ ما ذكره معلوم أنه منام؛ لأنّ الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة، لكانت آية عظيمة ليعقوب ـ عليه السلام ـ ولما خفيت عليه وعلى الناس.

فإن قلت: ما أسماء تلك الكواكب؟

قلت: رَوَىٰ جَابِرُ أَنَّ يَهُودِيًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَن النُّجُومِ الَّتِي رَآهُنَّ يُوسُف، فَسَكَتَ رسول الله ﷺ: فنزيل جبريل فأخبره بذلك، فقال النبي ﷺ لِلْيَهُودِيِّ: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ هَلْ تُسْلِم»؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «جَريان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، والفرغ، ووثاب، وذو الكتفين، رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له». فقال

---

(١) قوله: «كما تقول ياتبة» بكسر التاء وتشديد الباء: الحالة الشديدة. وفي نسخة: يا ابنة، كذا بهامش الأصل (ع).

اليهودي: إي والله، إنها لأسماؤها (٧٧٦). وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته، والكواكب: إخوته، وعن وهب أنّ يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أنّ إحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عصا صغير تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة: الشمس والقمر والكواكب تسجد له، فقصها على/ ١٦٥ب أبيه، فقال له: لا تقصها عليهم، فيبغوا لك الغوائل، وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل: ثمانون. فإن قلت لم أخر الشمس والقمر؟ قلت: أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بياناً لفضلهما، واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك، ويجوز أن تكون الواو بمعنى: مع، أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر.

فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت؟[1].

---

٧٧٦ ـ أخرجه الحاكم (٣٩٦/٤) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر ابن عبد الله به.

وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه العقيلي (٢٥٩/١)، وابن حِبان في «المجروحين» (٢٥٠/١ ـ ٢٥١)، والبزار وأبو يعلى والبيهقي في «الدلائل»، وكذا أبو نعيم؛ كما في «تخريج الكشاف» (١٦٠/٢)، من طريق الحكم بن ظهير الفزاري عن السدي بالإسناد السابق. وقال البزار: لا نعلم يرويه إلا جابر ولا طريقا عنه إلا هذا الطريق، والحكم بن ظهير ليس بالقوي. وقد روى عنه جماعة من أهل العلم. أ.هـ. قلت: وقول البزار: متعقب بإسناد الحاكم فقد توبع الحكم.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤)، وعزاه إلى سعيد بن منصور والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حِبان في «الضعفاء وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً» في «دلائل النبوة».

قال الحافظ:

أخرجه الحاكم من طريق أسباط عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال «جاء بستان اليهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هل تعرف النجوم التي رآها يوسف فسجدن له؟ فسكت... الحديث» ولم يذكر فيهن الشمس والقمر وقال: رآها يوسف محيطة بأكتاف السماء ساجدة له، وزاد: فقصها على أبيه فقال له: إن هذا أمر قد تشتت وسيجمعه الله بعده»، رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل والطبراني وأبو حاتم في رواية الحاكم بن زهير عن السدي نحوه، وذكره العقيلي من حديثه، وقال: لا يثبت. وقال البزار: لا نعلم له طريقاً إلا =

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما معنى تكرار رأيت... إلخ» قال أحمد: وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل. الحال، فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة، إذ الآية في السجود كانت، والله أعلم.

قلت: ليس بتكرار؛ إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب ـ عليه السلام ـ قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فإن قلت: فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين؟

قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه؛ إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

عرف يعقوب ـ عليه السلام ـ دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه، فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم، والرؤيا بمعنى: الرؤية؛ إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، فرق بينهما بحرفي التأنيث، كما قيل: القربة والقربى، وقرئ: «رويالك»، وبقلب الهمزة واواً، وسمع الكسائي: رُيَّاك ورِيَّاك: بالإدغام وضم الراء وكسرها، وهي ضعيفة؛ لأن الواو في تقدير الهمزة، فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم: «اتزر»: من الإزار، و«اتجر»: من الأجر، ﴿فَيَكِيدُوا﴾: منصوب بإضمار: «أن»، والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك.

فإن قلت: هلا قيل: فيكيدوك، كما قيل: فكيدوني؟

قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام؛ ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون آكد وأبلغ في التخويف؛ وذلك نحو: فيحتالوا لك؛ ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء، ولقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شرّ، ليورّط من يحمله، ولا يؤمن أن يحملهم على مثله، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك الاجتباء، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني:

= هكذا. والحاكم ليس بقوي، وكذا قال البيهقي: إنْ الحاكم تفرد به. وغفل عن طريق شيخ الحاكم، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وأعله بالحاكم. وطريق الحاكم يدفع على الحكم وذكر ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة؛ أنه قال: حديث منكر. انتهى.

وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه، كأنه قيل: وهو يعملك ويتمّ نعمته عليك، والاجتباء: الاصطفاء، افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض: جمعته، والأحاديث: الرؤيا؛ لأنّ الرؤيا إمّا حديث نفس أو ملك أو شيطان، وتأويلها. عبارتها وتفسيرها، وكان يوسف ـ عليه السلام ـ أعبر الناس للرؤيا، وأصحهم عبارة لها، ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث: معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها، وسميت: أحاديث؛ لأنه يحدث بها عن الله ورسله، فيقال: قال الله، وقال الرسول كذا وكذا؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: ٥٠]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]: وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة، ومعنى إتمام النعمة عليهم: أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة؛ بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة، وقيل: أتمها على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، ومن ذبح الولد، وعلى إسْحَاق بإنجائه من الذبح، وفدائه بذبح عظيم، وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، وقيل: علم يعقوب أنّ يوسف يكون نبيًا وإخوته أنبياء؛ استدلالاً بضوء الكواكب؛ فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، وقيل: لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف، حسدوه، وقالوا: ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه، وقيل: كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة؛ لصغره، ولما يرى فيه من المخايل، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا، ضاعف له المحبة، فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه، فتبالغ فيهم الحسد، وقيل: لما قص رؤياه على يعقوب، قال: هذا أمر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل، وآل يعقوب: أهله، وهم نسله وغيرهم، وأصل آل: أهل؛ بدليل تصغيره على أُهَيل، إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحائك، ولا آل الحجام، ولكن أهلهما، وأراد بالأبوين: الجد، وأبا الجد؛ لأنهما في حكم الأب في الأصالة، ومن ثم يقولون: ابن فلان، وإن كان بينه وبين فلان عدّة، و﴿إبراهيم وإسحاق﴾: عطف بيان لأبويك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: يعلم من يحق له الاجتباء، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يتم نعمته إلا على من يستحقها.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي: في قصتهم وحديثهم، ﴿ءَايَـٰتٌ﴾: علامات، ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سأل عن قصتهم وعرفها، وقيل: آيات

على نبوّة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وقرئ: «آية»، وفي بعض المصاحف: «عبرة»، وقيل: إنما قص الله تعالى على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ خبر يوسف وبغي إخوته عليه، لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به، وقيل: أساميهم: يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوى، وربالون، ويشجر، ودينة، ودان، ونفتالي، وجاد، وآشر: السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب، والأربعة الآخرون من سريتين: زلفة، وبلهة، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل، فولدت بنيامين ويوسف.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ليوسف﴾ اللام: للابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أنّ زيادة محبته لهما أمر ثابت[1] لا شبهة فيه، ﴿وَأَخُوهُ﴾ هو: بنيامين؛ وإنما قالوا: أخوه، وهم جميعاً إخوته؛/١٦٦أ لأنّ أمّهما كانت واحدة، وقيل: ﴿أَحَبُّ﴾: في الاثنين؛ لأن أفعل من لا يفرّق فيه بين الواحد وما فوقه، ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه: «من»، ولا بد من الفرق مع لام التعريف، وإذا أضيف جاز الأمران، والواو في: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: واو الحال، يعني: أنه يفضلهما في المحبة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة، ونحن جماعة عشرة رجال كفأة نقوم بمرافقه، فنحن أحقّ بزيادة المحبة منهما، لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك، والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً، وقيل: إلى الأربعين؛ سموا بذلك

---

(١) قال محمود: «اللام للتوكيد، دخلت للأشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت... إلخ» قال أحمد: وهذه تؤيد قراءة ابن مروان ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ بالنصب. وقد قال سيبويه فيها: احتبى ابن مروان في لحنه، أي تمكن. وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه، فلا بد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول: لو قالوا «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن نحن» على طريقة [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

ونحو: أنا أنا وأنت أنت. لم يكن في فصاحته مقال: وقد علمت أن معنى أنا أنا: أي أنا الموصوف بالأوصاف الشهيرة التي استغنى عن ذكرها، فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر، لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظاً، وراحة من تكرار اللفظ بعينه، والسياق يرشد إلى المحذوف، وإذا كان كذلك فقول القائلين ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ﴾ معناه: ونحن نحن، ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذي ذكرناه، فقولهم: (نحن) كلام تام بالتقدير المذكور، فلا غرو في وقوع الحال بعده، وهذا بعينه يجري في قوله ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فقوله (هن) في حكم الكلام التام. والمراد: هؤلاء بناتي هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة. وأصل الكلام: هن هن، فوقع الحال بعد التمام، والله أعلم.

لانهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب، وروى النزال بن سبرة عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «ونحن عصبة»؛ بالنصب، وقيل: معناه: ونحن نجتمع عصبة، وعن ابن الأنباري: هذا كما تقول العرب؛ إنما العامري: عمته، أي: يتعهد عمته.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾: من جملة ما حكى بعد قوله: «إذ قالوا»؛ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾، وقيل: الآمر بالقتل شمعون، وقيل: دان، والباقين: كانوا راضين، فجعلوا آمرين، ﴿أَرْضًا﴾: أرضاً منكورة، مجهولة، بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأنّ الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقيل: (يخل لكم): يفرغ لكم من الشغل بيوسف، ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد يوسف، أي: من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا، ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تائبين إلى الله مما جنيتم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه، أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلوّ وجه أبيكم، و﴿وَتَكُونُوا۟﴾؛ إمّا مجزوم عطفاً على: (يخل لكم)، أو منصوب بإضمار: «أن والواو» بمعنى: مع؛ كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً، وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض، قال لهم: القتل عظيم، ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله؛ قال المُنَخّل [من الطويل]:

وَإِنْ أَنَا يَوْماً غَيَّبَتْنِي غَيَابَتِي ... فَسِيرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالأَهْلِ[1]

---

(١) للمنخل. والغيابة: ما غاب عن الناظر من أسفل البئر ونحوه. يقول: وإن غيبتني مقبرتي، كناية عن موته، فسيروا بسيري، أي فانعوني وسيروا بذكر خصالي، على عادة العرب إذا مات منها رئيس. ويحتمل أنه يوصي أقاربه بالخير، وأنهم يسيرون بمثل سيره، ويفعلون كفعله في جيرانه وقرابته.
ينظر البيت في روح المعاني ١٢/ ١٩٢، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٢، ومعجم الشعراء ٣٨٨، والبحر =

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها، وقرئ: «غيابات»: على الجمع، و«غيابات»: بالتشديد، وقرأ الجحدري: «غيبة»، والجب: البئر لم تطو؛ لأن الأرض تجبّ جبًا لا غير، ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق، وقرئ: «تلتقطه»: بالتاء على المعنى؛ لأنّ بعض السيارة سيارة؛ كقوله [من الطويل]:

..... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[1]

ومنه: ذهبت بعض أصابعه، ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم، فهذا هو الرأي.

﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾، قرئ بإظهار النونين، وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام، و: تيمنا: بكسر التاء مع الإدغام، والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه؟ وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة[2]، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسّ منهم بما أوجب ألا يأمنهم عليه، ﴿يَرْتَعْ﴾: يتسع في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرتعة: الخصب والسعة، وقرئ: «يرتع»: من ارتعى يرتعي، وقرئ: «يرتع ويلعب»: بالياء، ويرتع: من ارتع ماشيته، وقرأ العلاء بن سيابة: «يرتع» بكسر العين، و«يلعب»: بالرفع على الابتداء.

فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب ـ عليه السلام ـ اللعب؟

قلت: كان لعبهم الاستباق والانتضال، ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدوّ لا للهو؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧]؛ وإنما سموه لعباً؛ لأنه في صورته.

﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾: اللام: لام الابتداء؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل: ١٢٤]. ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة، اعتذر إليهم بشيئين:

= المحيط ٥/ ٢٨٥، ومعجم المرزباني (٣٨٨)، والمؤتلف (٢٧١)، والقرطبي ٥/ ١٩٤، والمحرر ٩/ ٢٥٤، والدر المصون ٤/ ١٥٨.

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ما يدل على خلاف النصيحة والمقة» أي المحبة. وقد ومقه يمقه، بالكسر فيهما: أي أحبه، فهو وامق، كذا في الصحاح (ع).

أحدهما: أنّ ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة.

والثاني: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه[1] برعيهم ولعبهم، أو قلّ به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم، وقيل: رأى في النوم أنّ الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره، فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة، وفي أمثالهم: «البلاء موكل بالمنطق»، وقرئ: (الذئب): بالهمزة على الأصل وبالتخفيف، وقيل: اشتقاقه من «تذاءبت الريح»: إذا أتت من كل جهة:

﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

القسم محذوف تقديره: والله، ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: واللام موطئة للقسم، وقوله: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾: جواب للقسم، مجزئ عن جزاء الشرط، والواو في (ونحن عصبة): واو الحال، حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم ـ وحالهم أنهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب ـ إنهم إذاً لقوم خاسرون، أي: هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقون أن يهلكوا؛ لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقون، لأن يدعي عليهم بالخسارة والدّمار، وأن يقال: خسرهم الله، ودمرهم: حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون، وقيل: إن لم نقدر على حفظ بعضنا، فقد هلكت مواشينا إذاً وخسرناها.

فإن قلت: قد اعتذر إليهم بعذرين، فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر؟

قلت: هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرّين[2] فأعاروه آذاناً صمًّا ولم يعبؤوا به.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) قال محمود: «اعتذر لهم بأمرين: أحدهما حزنه لمفارقته، والثاني خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه... إلخ» قال أحمد: وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه، لأنه مظنة هلاكه. وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالماً إليه عما قليل، فأمر سهل؛ فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه، والله أعلم.

(٢) قوله: «ويذيقهم الأمرين، الأمرين ـ بنون الجمع ـ: الدواهي، كذا بهامش. وفي الصحاح: الأمران: الفقر والهرم. وفيه أيضاً: الأمر: المصارين يجتمع فيها الفرث. قال الشاعر:

فلا تهد الأمر وما يليه ... ولا تهدن معروق العظام

وقال أبو زيد: لقيت منه الأمرين، بنون الجمع: وهي الدواهي اهـ (ع).

﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾: مفعول، (أجمعوا): من قولك: أجمع الأمر وأزمعه، ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾، وقرئ: «في غيابات الجب»: قيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل: بأرض الأردنّ، وقيل: بين مصر/ ١٦٦ب ومدين، وقيل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وجواب «لما»: محذوف، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرّية أظهروا له العداوة، وأخذوا يهنونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب، حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح: يا أبتاه، لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء، فقال يهوذا: أما أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم، فنزعوها من يده، فتعلق بحائط البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخواتاه، ردّوا عليّ قميصي أتوارى به، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقالوا له: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك، ودلوه في البئر، فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت، وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي، فنادوه، فظنّ أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، ويروى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقي في النار، وجرّد عن ثيابه، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسْحَاق، وإسْحَاق إلى يعقوب، فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف، فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قيل: أُوحي إليه في الصغر كما أُوحي إلى يحيى وعيسى، وقيل: كان إذ ذاك مدركاً، وعن الحسن: كان له سبع عشرة سنة، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: وإنما أُوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة، ويبشر بما يؤول إليه أمره، ومعناه: لتتخلصن مما أنت فيه، ولتحدّثن إخوتك بما فعلوا بك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنك يوسف؛ لعلوّ شأنك وكبرياء سلطانك، وبعد حالك عن أوهامهم، ولطول العهد المبدّل للهيئات والأشكال، وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتازين فعرفهم وهم له منكرون، دعا بالصواع فوضعه على يده، ثم نقره فظنّ فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، وكان يدنيه دونكم، وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب، وقلتم لأبيكم: أكله الذئب، وبعتموه بثمن بخس، ويجوز أن يتعلق: (وهم لا يشعرون) بقوله: (وأوحينا): على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة، وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنس له، وقرئ: «لننبئنهم»: بالنون على أنه وعيد لهم، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: متعلق بأوحينا لا غير.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

وعن الحسن: «عشيًا»: على تصغير عشيّ، يقال: لقيته عشيًا وعشياناً[1]، وأصيلاً وأصيلاناً، ورواه ابن جنى: «عُشي»: بضم العين والقصر، وقال: «عشوا» من البكاء، وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية، أما تراها تبكي؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية، وروي أنه لما سمع صوتهم[2] فزع، وقال: مالكم يا بنيّ؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فمالكم وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل، والارتماء والترامي، وغير ذلك، والمعنى: نتسابق في العدو أو في الرمي، وجاء في التفسير: ننتضل، ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدّق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾: ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة؛ لشدّة محبتك ليوسف، فكيف وأنت سيء الظن بنا، غير واثق بقولنا؟

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته؛ ونحوه [من الطويل]:

. . . . . فَهُنَّ بِهِ جُودٌ وَأَنْتُمْ بِهِ بُخْلُ[3]

وقرئ: «كذباً»: نصباً على الحال، بمعنى: جاؤوا به كاذبين، ويجوز أن يكون مفعولاً له، وقرأت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كدب»؛ بالدال غير المعجمة، أي: كدر، وقيل: «طرى»، وقال ابن جنى: أصله من الكدب، وهو الفوف البياض[4]، الذي يخرج على أظفار الأحداث، كأنه دم قد أثر في قميصه، روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها، وزلّ

---

(١) قوله: «يقال: لقيته عشيا وعشياناً» وهذا لو حذفت نونه صار عشيا، كقراءة الحسن (ع).

(٢) قال محمود: «روي أنه لما سمع أصواتهم قال: يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا لا... إلخ» قال أحمد: وقواه على اتهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولاً أكل الذئب إياه، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ وكثيراً ما الأعذار الباطلة من قلق في المخاطب المعتذر إليه، حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الإنكار.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (جود).

(٤) قوله: «وهو الفوف البياض» عبارة الصحاح: الفوف البياض الذي يكون في أظفار الأحداث اهـ، فجعل البياض خبراً عن الفوف وتفسيراً له، فلعله هنا: أي البياض (ع).

عنهم أن يمزقوه، وروي أنّ يعقوب لما سمع بخبر يوسف، صاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص، وقال: تالله، ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيراً، ودليلاً على براءة يوسف حين قدّ من دبر.

فإن قلت: (على قميصه) ما محله؟

قلت: محله: النصب على الظرف؛ كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم، كما تقول: جاء على جماله بأحمال.

فإن قلت: هل يجوز أن تكون حالاً متقدمة؟

قلت: لا؛ لأنّ حال المجرور لا تتقدم عليه[1] ﴿سَوَّلَتْ﴾: سهلت من السول وهو الاسترخاء، أي: سهلت، ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيماً ارتكبتموه من يوسف، وهوّنته في أعينكم، استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص، أو أُوحي إليه بأنهم قصدوه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: خبر أو مبتدأ؛ لكونه موصوفاً، أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل، وفي قراءة أبيّ: «فصبراً جميلاً»، والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع: «أنه الذي لا شكوى فيه إلى الخلق» (٧٧٧)؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿إنما أشكو بثي

---

٧٧٧ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٦٣) رقم (١٨٨٣، ١٨٨٤).
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق حيان بن أبي حثلة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾، =

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ردَّ به الزمخشري أحد قولي النحاة، وقد صحح جماعة جوازه وأنشدوا [من الطويل]:

. . . . . فَلَنْ يذهبوا فَرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ

وقال الشيخ: «ولا يساعد المعنى على نصب «عَلَى» على الظرف بمعنى: فوق، لأن العامل فيه إذ ذاك «جَاءوا» وليس الفرق ظرفاً لهم، بل يستحيل أن يكون ظرفاً لهم». وهذا الردُّ هو الذي رددت به على الحوفي قوله: إن «عَلَى» متعلقة بـ«جَاءوا». ثم قال الشيخ: وأما المثال الذي ذكره الزمخشري، وهو: «جَاءَ على جِمَاله بأحمالٍ» فيمكن أن يكون ظرفاً للجاني، لأنه يمكن الظرف فيه باعتبار تبدله من جَمَلٍ إلى جَمَلٍ، ويكون بأحمال في موضع الحال، أي: مضموماً بأحمال. انتهى. الدر المصون.

وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦]، وقيل: لا أعايشكم على كآبة الوجه، بل أكون لكم كما كنت، وقيل: سقط حاجباً يعقوب على عينيه، فكان يرفعهما بعصابة، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان، وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوب، أتشكوني؟ قال: يا رب؛ خطيئة، فاغفرها لي، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ أي: أستعينه ﴿عَلَىٰ﴾: احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ﴾: من هلاك يوسف، والصبر على الرزء فيه.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر؛ وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف/ ١١٦٧أ في الجب، فأخطئوا الطريق فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة، وقيل: كان ماؤها ملحاً، فعذب حين ألقى فيه يوسف، ﴿فَأَرْسَلُوا۟﴾: رجلاً يقال له: مالك بن ذعر الخزاعي، ليطلب لهم الماء، والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم، ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾: نادى البشرى، كأنه يقول: تعالي، فهذا من آونتك، وقرئ: «يا بشراي»: على إضافتها إلى نفسه، وفي قراءة الحسن وغيره: «يا بشرى»: بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولىّ، وعن نافع: «يا بشراي»: بالسكون، وليس بالوجه؛ لما فيه من التقاء الساكنين على غير حدّه، إلا أن يقصد الوقف، وقيل: لما أدلى دلوه، أي: أرسلها في الجب، تعلق يوسف بالحبل، فلما خرج، إذا هو بغلام أحسن ما يكون، فقال: يا بشراي، ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾، وقيل: ذهب به، فلما دنا من أصحابه، صاح بذلك يبشرهم به، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: الضمير: للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب، وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف (٧٧٨). وأنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف؛ مخافة أن يقتلوه، و﴿بِضَٰعَةً﴾: نصب على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة، أي: قطع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: لم يخف عليه أسرارهم، وهو وعيد لهم؛ حيث استبضعوا ما ليس لهم، أو: والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

= قال: صبر لا شكوى فيه. من بث لم يصبر» هذا مرسل. انتهى.

٧٧٨ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٦٦) رقم (١٨٩٠٨).

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَرَوْهُ﴾: وباعوه، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً، أو زيف ناقص العيار، ﴿دَرَاهِمَ﴾: لا دنانير، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة[1]، تعدّ عدّا، ولا توزن؛ لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية، وهي الأربعون، ويعدّون ما دونها، وقيل: للقليلة معدودة؛ لأنّ الكثيرة يمتنع من عدّها؛ لكثرتها، وعن ابن عباس: كانت عشرين درهماً (٧٧٩)، وعن السدي: اثنين وعشرين (٧٨٠). ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن[2]؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء: متهاون به لا يبالي بما باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أوّل مساوم بأوكس الثمن، ويجوز أن يكون معنى: (وشروه): واشتروه، يعني: الرفقة من إخوته، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾؛ لأنهم اعتقدوا أنه آبق، فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه، ويروى أنّ إخوته اتبعوهم يقولون لهم: استوثقوا منه لا يأبق، وقوله: (فيه): ليس من صلة (الزاهدين)؛ لأنّ الصلة لا تتقدّم على الموصول؛ ألا تراك لا تقول: وكانوا زيداً من الضاربين؛ وإنما هو بيان، كأنه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ قيل: هو قطفير أو أطفير، وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، والملك يومئذ: الريان بن الوليد، رجل من العماليق، وقد آمن بيوسف، ومات في حياة يوسف، فملك بعده قابوس بن مصعب، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى، واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، وقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو

---

٧٧٩ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٧٠) رقم (١٨٩٣٥).

٧٨٠ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٧٠) رقم (١٨٩٣٦) بنحوه.

---

(١) قال محمود: «المعدودة كناية عن القليلة... إلخ» قال أحمد: ومن التعبير عن القلة بالعدد: الدعوة المأثورة على الكفرة: «اللهم أحصهم عدداً، واستأصلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً» فالمدعو به وإن كان إحصاؤهم عدداً في الظاهر، إلا أن هذا ليس مراداً لأن الله تعالى أحصى كل شيء عدداً وأحاط به علماً، فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة، فلما كان كل قليل معدوداً وكل كثير غير معدود، دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الإحصاء. والله أعلم.

(٢) قوله: «فبيعه بما طف من الثمن» أي قل. وفي الصحاح: الطفيف القليل (ع).

ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: كان الملك في أيامه فرعون موسى، عاش أربعمائة سنة؛ بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، وقيل: اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أبيضين، وقيل: أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه؛ حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً، فابتاعه قطفير بذلك المبلغ، ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي: حسناً مرضياً؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والمراد: تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة، حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا، ساكنة في كنفنا، ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة، يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده، وهل يراعي حق نزولك به، واللام في (لامرأته): متعلقة بقال، لا باشتر ه، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: لعله إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها، نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيماً لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك، وقيل: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢٣]، والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر ـ رضي الله عنهما ـ وروي أنه سأله عن نفسه، فأخبره بنسبه فعرفه، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدّم من إنجائه، وعطف قلب العزيز عليه، والكاف: منصوب تقديره: ومثل ذلك الإنجاء والعطف، ﴿مَكَّنَّا﴾: له، أي: كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز؛ كذلك مكنا له في أرض مصر، وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: كان ذلك الإنجاء والتمكين؛ لأنّ غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: على أمر نفسه: لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي، أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره، قد أراد إخوته به ما أرادو ، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيد الله.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قيل في الأشدّ: ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون، ﴿حُكْمًا﴾: حكمة، وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه، وقيل: حكماً بين الناس وفقهاً، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً/ ١٦٧ب في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه، وعن الحسن:

من أحسن عبادة ربه في شيبته، آتاه الله الحكمة في اكتهاله.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المراودة: مفاعلة، من راد يرود إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قيل: كانت سبعة، وقرئ: (هيت): بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء، وبناؤه كبناء أين، وعيط، وهيت كجير، وهيت كحيث، وهئت بمعنى: تهيأت، يقال: هاء يهيء، كجاء تجيء: إذا تهيأ، وهيئت لك، واللام من صلة الفعل، وأما في الأصوات فللبيان[1]؛ كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول: هلم لك، ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً، ﴿إِنَّهُۥ﴾: إن الشأن والحديث، ﴿رَبِّىٓ﴾: سيدي ومالكي، يريد قطفير، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: حين قال لك: أكرمي مثواه، فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم، وقيل: أراد الله تعالى؛ لأنه مسبب الأسباب.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

همّ بالأمر: إذا قصده وعزم عليه؛ قال [من الطويل]:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تَرَكْتُ عَلَىٰ عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ[2]

---

(١) قوله: «وأما في الأصوات فللبيان» في الصحاح: هيت به وهوت به، أي صاح به ودعاه. وفيه أيضاً قولهم «هيت لك» أي هلم لك وفيه. هلم يا رجل ـ بفتح الميم ـ: بمعنى تعال (ع).

(٢) لعمير بن ضابئ البرجمي، دخل على عثمان وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعه وقال: عزمت على قتل عثمان ولم أقتله، وكدت أن أفعل وليتني قتلته. وكنى عن ذلك بقوله: «تركت على عثمان تبكي حلائله» وهو من باب التنازع. وأصله: تركت على عثمان حلائله تبكي فجعل حلائله فاعلاً. وحذف مفعول تركت الأول لعلمه من الكلام، ولأنه فضلة وهي لا تضمر في هذا الباب. والمعنى ليتني قتلته فصيرت نساءه تبكي عليه، ودخل هذا الرجل على الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين: أنا شيخ ضعيف، وخرج اسمي في هذا البعث، فاقبل ابني بديلاً عني فقبله منه وخرج فقال عتبة بن سعيد: أيها الأمير، هذا هو الذي فعل بعثمان كذا وكذا، فقال: ردوه علي، فقال له: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى عثمان أمير المؤمنين بديلاً يوم الدار؟ إن في قتلك صلاحاً، يا حرسي، اضربا عنقه. أمر الحرس بقتله وخاطبه خطاب المثنى على لغة الحرس الذين نسب المخاطب إليهم هذا. وقيل: =

ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا همًّا، أي: ولا أكاد أن أفعله كيداً، ولا أهم بفعله همًّا: حكاه سيبويه، ومنه: الهمام، وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم ينكل عنه، وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ معناه: ولقد همت بمخالطته، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: وهمّ بمخالطتها، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها؛ فحذف؛ لأنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدل عليه؛ كقولك: هممت بقتله لولا أني خفت الله، معناه: لولا أني خفت الله.

فإن قلت: كيف جاز على نبيّ الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصدٌ إليها؟

قلت: المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة، ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه[1]؛ ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم، وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همًّا لشدّته، لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء، على حسب عظم الابتلاء وشدته، ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين، ويجوز أن يريد بقوله: (وهمّ بها): وشارف أن يهم بها، كما يقول الرجل: قتلته لو لم أخف الله، يريد مشارفة القتل ومشافهته[2]، كأنه شرع فيه.

فإن قلت: قوله: (وهم بها): داخل تحت حكم القسم في قوله: (ولقد همت به): أم هو خارج منه؟

قلت: الأمران جائزان، ومن حق القارئ إذا قدّر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله: (ولقد همت به)، ويبتدئ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وفيه ـ أيضاً ـ إشعار بالفرق بين الهمين.

فإن قلت: لم جعلت جواب «لولا» محذوفاً يدل عليه: «هم بها»، وهلا جعلته هو الجواب مقدماً؟

= إن القصة مع ضابئ نفسه، وإن عثمان كان حبسه في هجوه بني نهشل، فلما قتل عثمان أفلت وفعل به ذلك.

ينظر: حماسة البحتري ص ١١، خزانة الأدب (٩/ ٣٢٣، ٣٢٧)، الشعر والشعراء ١/ ٣٥٨، لسان العرب (قير)، معاهد التنصيص (١/ ١٨٧).

(١) قوله: «وقرمه» أي شدة شهوته، أفاده الصحاح.

(٢) قوله: «مشافهته» لعله: ومشابهته.

قلت: لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها، من قبل أنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وأما حذف بعضها إذا دلّ الدليل عليه فجائز.

فإن قلت: فلم جعلت «لولا» متعلقة «بهمّ بها» وحده، ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ لأن الهمّ لا يتعلق بالجواهر، ولكن بالمعاني، فلا بدّ من تقدير المخالطة، والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً، فكأنه قيل: ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما؟

قلت: نعم ما قلت، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل؛ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾، فكان إغفاله إلغاء له، فوجب أن يكون التقدير: ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها، على أنّ المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه، وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها، «لولا أن رأى برهان ربه»، فترك التوصل إلى حظه من الشهوة؛ فلذلك كانت: «لولا»: حقيقة بأن تعلق بـ «هَمَّ بها» وحده، وقد فسر همّ يوسف بأنه حل الهميان، وجلس منها مجلس المجامع، وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع، وهي مستلقية على قفاها، وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً: إياك وإياها، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً: أعرضْ عنها، فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضًّا على أنملته، وقيل: ضرب بيده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف؛ فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ، وقيل: صيح به: يا يوسف، لا تكن كالطائر: كان له ريش، فلما زنى قعد لا ريش له، وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾، فلم ينصرف، ثم رأى فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾، فلم ينته، ثم رأى فيها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فلم ينجع فيه، فقال الله لجبريل ـ عليه السلام ـ: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف، أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال العزيز، وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحي منه أن يرانا،/ ١٦٨أ فقال يوسف: استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من السميع البصير، العليم بذوات الصدور، وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر[1] الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو

(١) قوله: «مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى» يريد بهم أهل السنة، ويريد بأهل =

وجدت من يوسف ـ عليه السلام ـ أدنى زلة، لنعيت عليه، وذكرت توبته واستغفاره، كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوّة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح، حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته، وضرب سورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق في الآخرين، كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة، وطيب الإزار، والتثبت في مواقف العثار، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدّي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله، في القعود بين شعب الزانية، وفي حل تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربه بثلاث كرّات، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن، وبالتوبيخ العظيم، وبالوعيد الشديد، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه، وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل، ولا ينتهي، ولا ينتبه، حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره، ولو أن أوقح الزناة، وأشطرهم، وأحدهم حدقة، وأصلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا، لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرّك، فيا له من مذهب ما أفحشه! ومن ضلال ما أبينه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: منصوب المحل، أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو مرفوعه، أي: الأمر مثل ذلك، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: من خيانة السيد، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: من الزنا، ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح، الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم، ويجوز أن يريد بالسوء: مقدّمات الفاحشة، من القبلة والنظر بشهوة، ونحو ذلك، وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه: بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن

= العدل المعتزلة. وبهت الشخص: نسبه إلى قبيح لم يفعله، ولولا أن ذلك دائر بين السلف لما أوردوه (ع).

﴿كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: وتسابقا إلى الباب، على حذف الجارّ وإيصال الفعل؛ كقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] على تضمين: «استبقا» معنى: «ابتدرا»، نفر منها يوسف، فأسرع يريد الباب ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج.

فإن قلت: كيف وحد الباب، وقد جمعه في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾؟

قلت: أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار، فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف، جعل فراش القفل[1] يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من خلفه فانقد، أي: انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصادفا بعلها وهو قطفير، تقول المرأة لبعلها: سيدي، وقيل: إنما لم يقل: سيدهما؛ لأنّ ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيداً له على الحقيقة، قيل: ألفياه مقبلاً: يريد أن يدخل، وقيل: جالساً مع ابن عمّ للمرأة، لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة، وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها[2]، جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف، وتخويفه طمعاً في أن يؤاتيها؛ خيفة منها ومن مكرها، وكرهاً لما أيست من مؤاتاته طوعاً؛ ألا ترى إلى قولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾ [يوسف: ٣٢]، و«ما»: نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، ويجوز أن تكون استفهامية، بمعنى: أي شيء إلا السجن؟ كما تقول: من في الدار إلا زيد.

فإن قلت: كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف، وإنه أراد بها سوءا؟[3] قلت:

---

(١) قوله: «فراشة القفل» وما ينشب فيه. يقال أقفل فأفرش (ع).

(٢) قوله: «إذ لم يؤاتها» في الصحاح: وتقول آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته وطاوعته. والعامة تقول: واتيته (ع).

(٣) قال محمود: «إن قلت: لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف... إلخ» قال أحمد: أو أظهرت بهذا الإجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها: هذا أراد بي سوءا ولذلك أيضاً كنت بالسوء عما أضمرته من الهناة مبالغة في المكر والكيد، وإبعاد للتهمة عنها بتوقي ما يشعر منها بالتبرج والقحة، وعلى الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الإجمال: قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ ولم تقل: إنه قوي أمين، حياء من التعيين وحشمة وخفراً، ولكن هذه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر، والله أعلم.

قصدت العموم، وأنّ كل من أراد بأهلك سوءاً فحقه أن يسجن أو يعذب؛ لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف، وقيل: العذاب الأليم: الضرب بالسياط، ولما أغرت به وعرّضته للسجن والعذاب، وجب عليه الدفع عن نفسه، فقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۦ﴾، ولولا ذلك لكتم عليها، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قيل: كان ابن عمّ لها؛ إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه، وقيل: هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب، وقيل: كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره، ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار، فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق، وقيل: كان ابن خال لها صبيًّا في المهد، وعن النبي ﷺ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ٱبْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَونَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى» (٧٨١).

فإن قلت: لم سمي قوله: شهادة، وما هو بلفظ الشهادة؟[1]

---

٧٨١ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧)، وأحمد (١/ ٣١٠)، والبزار (١/ ٣٧ ـ ٣٨) رقم (٥٤)، والبيهقي (٢/ ٣٨٩)، والطبري (٧/ ١٩١) رقم (١٩١٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦) عن ابن عباس.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الحاكم (٢/ ٥٩٥).

قال الحافظ:

أخرجه الحاكم وابن حبان وأحمد وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى. والطبري والبيهقي في السادس عشر من الشُعب، كلهم من رواية حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رفعه: «لما أسري بي مرت رائحة طيبة ـ الحديث» فيه قصة الماشطة، وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «تكلم في المهد أربعة، وهم صغار: هذا، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم»، وفي الحاكم أيضاً من رواية مسلم بن إبراهيم عن جريج بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه: «لم يتكلم في المهد إلا أربعة وهم صغار: عيسى، وشاهد يوسف. وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون»، وذكره بلفظ ثلاثة. وذكر الثالث ابن المرأة التي ألقيت في النار. فخشيت على ولدها فكلمها» وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع فمر رجل راكب على دابة...» الحديث اقتصر الطيبي على هذا الأخذ فلم يصب، وبهذا الاعتبار صاروا خمسة، وروى الثعلبي عن الضحاك؛ أنهم ستة زادهم يحيى بن زكريا. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة... إلخ»؟ قال أحمد: مهما قدره من ذلك في اتباعه لها، يحتمل مثله في اتباعها له، فإنها إنما تقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها، وهذا بعينه يحتمل إذا كانت هي التابعة أن تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين، ثم جذبت قميصه إليها من قبل، بل ههنا أظهر؛ لأن الموجب لقد القميص غالباً الجذب لا الدفع.

قلت: لما أدّى مؤدّى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف، وبطل قولها سمي شهادة.

فإن قلت: الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة؟

قلت: لأنها قول من القول، أو على إرادة القول، كأنه قيل: وشهد شاهد، فقال: إن كان قميصه.

فإن قلت: إن دل قدّ قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه إليها فقدّته، فمن أين دل قدّه من قبل على أنها صادقة، وأنه كان تابعها؟ قلت: من وجهين:

أحدهما: أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه/ ١٦٨ب من قدّامه بالدفع.

والثاني: أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه[1]، وقرئ: «من

---

(١) عاد كلامه. قال: «والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد» قال أحمد: وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في إسراعه للفرار، والله أعلم. فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك. والحق ـ والله ولي التوفيق ـ أن الشاهد المذكور إن كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث، فالآية في مجرد كلامه قبل أوانه، حتى لو قال: صدق يوسف وكذبت، لكفى برهاناً على صدقه عليه السلام، كما كان مجرد إخبار عيسى عليه السلام في المهد برهاناً على صدق مريم، فلا تبقى المناسبة بين الأمارة المنصوبة وما رتب عليها؛ لأن العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها، وإن كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له وإقامة الحق كما ذكر الزمخشري. فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها، ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها، ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر فنصبه أمارة لصدقه وكذبها، ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل، على علم بأنه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة، وينصفهما جميعاً فيذكر أمارة على صدقها المعلوم نفيه، كما ذكر أمارة على صدقه المعلوم وجرده، ومن ثم قدم أمارة صدقها على أمارة صدقه في الذكر، إزاحة للتهمة ووثوقاً بأن الأمارة الثانية هي الواقعة، فلا يضره تأخيرها. وهذه اللطيفة بعينها ـ والله أعلم ـ هو التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله ﴿وإن يك كاذباً عليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ فقدم قسم الكذب على قسم الصدق إزاحة للتهمة التي خشي أن تتطرق إليه في حق موسى عليه السلام، ووثوقاً بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع. فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة. ومن ثم قال ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ولم يقل: كل ما يعدكم تعريضاً بأنه معهم عليه، وأنه حريص على أن يبخسه حقه، وينحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه؛ لأنه لو بدأ به لمظنوا أنه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه، والله أعلم. فقصد هذا الشاهد الأمارة الآخرة فقط. والمناسبة فيها محققة. وأما الأمارة الأولى فليست مقصودة، وإنما ذكرها توطئة كما تقدم. فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين، وإنما هي كالفرض والتقدير والله أعلم. وكأنه قال: إن كان قميصه قد من قبل فهي صادقة. =

قبل»، «ومن دبر»: بالضم على مذهب الغايات، والمعنى: من قبل القميص ومن دبره، وأما التنكير، فمعناه: من جهة يقال لها: قبل، ومن جهة يقال لها: دبر، وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: «من قبل»، و«من دبر»: بالفتح، كأنه جعلهما علمين للجهتين، فمنعهما الصرف؛ للعلمية والتأنيث، وقرئا[1]: بسكون العين.

فإن قلت: كيف جاز الجمع بين: «إن» الذي هو للاستقبال، وبين: «كان»؟

قلت: لأنّ المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قدّ؛ ونحوه كقولك: إن أحسنت إليّ، فقد أحسنت إليك من قبل، لمن يمتن عليك بإحسانه، تريد: إن تمتن عليّ أمتنّ عليك، ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ يعني: قطفير، وعلم براءة يوسف وصدقه، وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾: إن قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾[2]: أو إنّ الأمر، وهو طمعها في يوسف ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: الخطاب لها ولأمتها؛ وإنما استعظم كيد النساء؛ لأنه وإن كان في الرجال، إلا أنّ النساء ألطف كيداً، وأنفذ حيلة، ولهنّ في ذلك نيقة[3]، ورفق؛ وبذلك يغلبن الرجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، والقصريات من بينهنّ معهنّ ما ليس مع غيرهنّ من البوائق[4]، وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر ما أخاف من الشيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ﴿يُوسُفُ﴾: حذف منه حرف النداء؛ لأنه منادى قريب، مفاطن للحديث، وفيه تقريب له، وتلطيف لمحله، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: الأمر، واكتمه، ولا

= لكنه يعلم انتفاء الأمارة المذكورة، فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة، فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب، والله الموفق. وأما إن كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع إليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير، فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لأنها عهدة الحكيم. وأقرب وجه في المناسبة أن قد القميص من دبر دليل على إدباره عنها، وقده من قبل دليل على إقباله عليها بوجهه، والله أعلم.

(١) قوله: «وقرئا» أي: قبل ودبر، قوله: «بسكون العين»: أي الباء.

(٢) قال محمود: «الضمير راجع إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا... إلخ» قال أحمد: وفيما قاله هذا العالم نظر، لأن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي. وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز، ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحاً له، ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه، وأيضاً فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلاً لكيد الله تعالى، فكان ضعيفاً بالنسبة إليه. ألا ترى أول الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وأيضاً فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك، فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده، والله أعلم.

(٣) قوله: «نيقة» اسم للتأنق في الأمر. أفاده الصحاح (ع).

(٤) قوله: «مع غيرهن من البوائق» أي الدواهي. أفاده الصحاح (ع).

تحدّث به ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ أنت ﴿لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ من جملة القوم المتعمدين للذنب. يقال: خطىء، إذا أذنب متعمداً؛ وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: بلفظ التذكير؛ تغليباً للذكور على الإناث، وما كان العزيز إلا رجلاً حليماً، وروي أنه كان قليل الغيرة.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾: وقال جماعة من النساء وكنّ خمساً: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة؛ ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث، وفيه لغتان: كسر النون وضمها، ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: في مصر، ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾: يردن قطفير، والعزيز: الملك بلسان العرب، ﴿فَتَىٰهَا﴾: غلامها، يقال: فتاي وفتاتي، أي: غلامي وجاريتي، ﴿شَغَفَهَا﴾: خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد؛ والشغاف: حجاب القلب، وقيل: جلدة رقيقة يقال لها: لسان القلب؛ قال النابغة [من الطويل]:

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذٰلِكَ وَالِجٌ مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ[1]

---

(١) وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكش فالضواجع
للنابغة، يعتذر إلى النعمان ملك العرب عما قذفه به الواشون، أي وقد حال هم دون التغزل في المحبوبة وغيره من اللذات «والج» داخل مكان الشغاف. ويروى «ولوج الشغاف» أي كولوجه، والشغاف: داء في القلب جهة اليمين تخرجه الأطباء بأصابعهم، فتبتغيه الأصابع: من صفته على أنه حال منه. وقيل: حجاب القلب، أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب، فتبتغيه: صفة للهم، وشبه الأصابع بمن يصح منه الطلب على طريق المكنية والابتغاء تخييل، ثم إنه شبه الهم المعقول بمحسوس وبالغ في ذلك حتى ادعى أن الأصابع تفتش عليه فلا تجده لشدة ولوجه وكمونه في القلب. أو تلمسه وتريد إخراجه. وبين الهم بقوله: وعيد النعمان أبي قابوس وتهديده حال كونه في غير كنهه وحقيقته، أي: لم يبلغني بكماله. أو لأنه بلا سبب حصل مني، بل افترى الوشاة علي كذباً جاءني. ودوني: أي أمامي هذين الموضعين وهما مسافة بعيدة، ومع ذلك أدركني الخوف أو بعد المسافة، دلالة على غضب الملك عليه غضباً شديداً.
ينظر: البيت في ديوانه ٧٩، والعيني ٣/ ٤٠٩، ومعاني الزجاج ٣/ ١٠٥، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٨، =

وقرئ: «شعفها»؛ بالعين، من شعف البعير إذا هنأه[1] فأحرقه بالقطران؛ قال [من الطويل]:

. . . . . كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[2]

و﴿حُبًّا﴾: نصب على التمييز، ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في خطإٍ وبُعدٍ عن طريق الصواب، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ، وسوء قالنهنّ، وقولهنّ: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها، وسمي الاغتياب مكراً؛ لأنه في خفية وحالي غيبة، كما يخفي الماكر مكره، وقيل: كانت استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهنّ، قيل: دعت أربعين امرأة منهنّ الخمس المذكورات، ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾: ما يتكئن عليه من نمارق، قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهنّ متكئات والسكاكين في أيديهنّ: أن يدهشن[3] ويبهتن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهنّ فتقع أيديهنّ على أيديهنّ فيقطعنها؛ لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده، ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهنّ، فتضع الخناجر في أيديهنّ ليقطعن أيديهنّ، فتبكتهنّ بالحجة، ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهنّ الخناجر، وتوهمه أنهنّ يثبن عليه، وقيل: متكأ: مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكون للطعام، والشراب، والحديث، كعادة المترفين؛ ولذلك: «نهي أن يأكل الرجل متكئاً» (٧٨٢)، وآتتهنّ السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن، وقيل: (متكأ):

---

٧٨٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ١٣٣) رقم (٢٤٤٤٦) من حديث جابر، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود. =

= وسمط اللآلئ ٤٨٩، وأمالي القالي ١/ ٢٠٥، والخزانة ١/ ٤٣٠، وأدب الكاتب ١١٨، والقرطبي ٥/ ٢٣٣، والدر المصون ٤/ ١٧٣، والتاج (شغف).

(١) قوله: «إذا هنأه» في الصحاح «هنأت البعير» إذا طليته بالهناء. وهو القطران (ع).

(٢) أتقتلني وقد شغفت فؤادها كما شعف المهنؤة الرجل الطالي؟

لامرئ القيس، والاستفهام للإنكار والاستبعاد، أو للتعجب. وشعف الجمل: إذا أحرقه بالقطران المغلي على النار، وهنأه: دهنه بذلك القطران، فأطلق الشعف وأريد منه مطلق الإحراق، ثم أريد منه الإحراق بالعشق مجازاً مرسلاً ليصح التشبيه في قوله: كما أحرق الإبل المدهونة الداهن لها. وإن كان شغفت بالغين المعجمة فالمعنى: أصبت شغاف قلبها بالحب، وهو حجاب القلب أو لسانه أو حبة سوداء في وسطه، كما شغف: أي أخاف الإبل المدهونة وراع قلبها الرجل الداهن لها. لأنها تخافه في الأول. وقيل: شبه حبها باستلذاذ الإبل لذلك الطلي بعد دهنها به.
ينظر: ديوانه ١٤٢، وشرح ديوان الحماسة ٤/ ١٦٢٤، المحتسب ١/ ٣٣٩، والطبري ١٦/ ٦٧، والقرطبي ٩/ ١٧٧، وفتح القدير ٣/ ٢٥، والدر المصون ٤/ ١٧٣.

(٢) قوله: «يدهشن» أي يتحيرن. أفاده الصحاح.

طعاماً؛ من قولك: اتكأنا عند فلان: طعمنا[1]، على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليطعم عندك، اتخذت له تكأة يتكىء عليها؛ قال جميل [من الخفيف]:

فَظَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا ... وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ[2]

وعن مجاهد: (متكأ): طعاماً يحزّ حزّاً؛ كأن المعنى يعتمد بالسكين؛ لأنّ القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين، وقرئ: «متكّا»: بغير همز، وعن الحسن: «متكاء»: بالمدّ، كأنه مفتعال؛ وذلك لإشباع فتحة الكاف؛ كقوله [من الوافر]:

. . . . . بِمُنْتَزَاحِ[3]

= أخرجه الطبراني (١٠/ ١٢٤) رقم (١٠٠٨٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن الزبير عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يأكل أحدنا بشماله وبأن يأكل متكئاً»، وفي الطبري من حديث ابن مسعود: «نهى رسول الله ﷺ عن صومين وصلاتين ولباسين ومطعمين وبيعتين» ومنكحين ـ إلى أن قال: وأما المطعمان فأن يأكل الرجل بشماله ويمينه صحيح. وأن يأكل متكئاً، إسناده جيد. وله في الأوسط وفي مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأكل متكئاً. ولا تتخط رقاب الناس يوم الجمعة»، وأعله ابن حِبان في الضعفاء بزريق بن عبد الله رواية عن عمرو بن الأسود عن أبي الدرداء. وفي الباب عن ابن أبي إهاب. أخرجه البزار بلفظ: «نهى أن تأكل متكئين». انتهى.

---

(١) قوله: «طعمنا» لعله «أي طعمنا». (ع)

(٢) لحميد بن ثور. وقيل لجميل بن معمر. وظل يظل من باب علم. يقول: فظللنا في نعمة أو ملتبسين بنعمة. واتكأنا: أصله أو تكأنا فتاؤه الأولى واو: أي اتخذنا متكأ اضطجعنا عليه، وشربنا الشراب الحلال يعني النبيذ، من قلله: جمع قلة، وهي الجرة العظيمة. ففي ذكر القلل دلالة على التوسع في الشرب وعدم التحجر فيه.

ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، وشواهد المغني (١٢٦)، وتأويل المشكل (١٨١)، والقرطبي ٩/ ١٧٨، وروح المعاني ٢/ ٢٢٨، واللسان (قلل)، والخزانة ٤/ ١٩٩، وأساس البلاغة ٢/ ٢٧٣، وشرح شواهد المغني للسيوطي (١٢٦)، والأغاني ٧/ ٧٩، وشرح شواهد المغني ٥/ ٢٧٢، والدر المصون، ٤/ ١٧٤، فتح القدير ٣/ ٢٣.

(٣) قوله: «بمنتزاح» هو من قول الشاعر:

وأنت من الغوائل حين ترمي ... وعن ذم الرجال بمنتزاح

والبيت لابن هرمة يرثي ابنه. والغوائل: الحوادث التي تغتال النفوس وتهلكها. ونزح: إذا بعد، والمنتزح: اسم لمكان البعد، وأشبعت فتحته فتولدت منها الألف كقولهم: ينباع في ينبع، وعقراب في عقرب.

ينظر: ديوانه (٩٢)، الأشباه والنظائر ٢/ ٣٠، والخصائص ٢/ ١٠٦، ٣/ ١٢١، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٥، ٢/ ٧١٩، وشرح شواهد الشافية ص ٢٥، ولسان العرب (ترح)، والمحتسب ١/ ١١٦، ٣٤٠، خزانة الأدب ٧/ ٥٥٧، والدر المصون ٢/ ٢٠٥.

بمعنى: بمنتزح؛ ونحوه [من الكامل]:

يَـــــتَـــــبَـــــاعُ......... ....[1]

بمعنى: ينبع، وقرئ: «مُتْكاً»: وهو الأترج؛ وأنشد [من الطويل]:

فَـأَهْـدَتْ مَـتْـكَـةً لِـبَـنِـي أَبِـيـهَـا ... تَـخُـبُّ بِـهَـا الـعَـثَـمْـثَـمَـةُ الْـوَقَـاحُ[2]

وكانت أهدت أترجة على ناقة، وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين، وحملا كالعدلين على جمل، وقيل: الزماورد[3]، وعن وهب: أترجاً وموزاً وبطيخاً، وقيل: أعتدت لهنّ ما يقطع، من متك الشيء بمعنى: بتكه إذا قطعه، وقرأ الأعرج: (متكأ): مفعلاً، من تكئ يتكأ، إذا اتكأ، ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أعظمنه، وهبن ذلك الحسن الرائع، والجمال الفائق، قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وعن النبي ﷺ: «مَرَرْتُ بِيُوسُفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: «يُوسُف»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: «كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» (٧٨٣)، وقيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر، يرى تلألؤ وجهه على الجدران، كما يرى نور الشمس من الماء عليها، وقيل: ما كان أحد يستطيع وصف يوسف، وقيل/ ١٦٩أ: كان يشبه آدم يوم خلقه ربه، وقيل: ورث الجمال من جدّته سارة، وقيل: أكبرن بمعنى: حضن، والهاء: للسكت، يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها بالحيض تخرج من حدّ الصغر إلى حدّ الكبر؛ وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله [من الطويل]:

---

٧٨٣ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧١).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الثعلبي من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه من هذا الوجه مطولاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ينباع» هو من قول الشاعر:
يـنـبـاع مـن ذفـرى أسـيـل حـرة ... زيـافـة مـثـل الـفـنـيـق الـمـكـدم
وقد مر شرح هذا البيت في سورة الأعراف بهذا الجزء فراجعه إن شئت اهـ.

(٢) المتكة: الأترجة، وكأنه التي ذكر أبو داود في سننه أنها شقت نصفين وحملت على ناقة. والخبب: نوع من السير. والعثمثمة: الصلبة. والوقاح ـ بالفتح ـ: شديدة وقع الخف على الأرض.
ينظر: البيت في روح المعاني ١٢/ ٢٨٨، والدر المصون ٤/ ١٧٤.

(٣) قوله: «الزماورد» هو الرقاق المحشو باللحم (ع).

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعِ فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ[1]

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها، كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، تريد: جرحتها ﴿حَشَ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيد؛ قال: [من الكامل]:

حَاشَا أَبَا ثَوْبَانَ إِنَّ ....

..... بِهِ ضَنًّا عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى: «حاشا الله»: براءة الله وتنزيه الله، وهي قراءة ابن مسعود، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة، ومن قرأ: «حاشا لله»؛ فنحو قولك: سقيا لك؛ كأنه قال: براءة، ثم قال: لله؛ لبيان من يبرأ وينزه، والدليل على تنزيل «حاشا»: منزلة المصدر: قراءة أبي السمال: (حاشا لله): بالتنوين، وقراءة أبي عمرو: (حاش لله): بحذف الألف الآخرة، وقراءة الأعمش: (حشا لله): بحذف الألف الأولى، وقرئ: (حاش لله): بسكون الشين، على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط، وهي: ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده، وقرئ: «حاشا الإله».

---

(١) لأبي الطيب، يقول: اتق واستر هذا الجمال الذي في وجهك ببرقع، لأنك إن ظهرت حاضت العواتق، أي خيار النساء وهن في خدورهن، لما ينظرن من جمالك. ولاح يلوح: ظهر يظهر.
ينظر: البيت في ديوانه ٢/ ٣٤٩، وروح المعاني ١٢/ ٢٢٩، والبحر المحيط ٥/ ٣٠٣، والدر المصون ٤/ ١٧٥.

(٢) حاشا أبي ثوبان إن أبا ثوبان ليس ببكمة فدم
عمرو بن عبد الله إن به ضنا عن الملحاة والشتم
للمنقذ بن الطماح وهو الجميح الأسدي. وحاشا: كلمة تبرئة وتنزيه واقعة موقع المصدر مضافة لما بعدها، كسبحان الله. ويجوز أنها حاشا الاستثنائية، وهي حرف جر عند الأكثر. ورواه الضبي: حاشا أبا ثوبان بالنصب، فهو فعل، واحتمال لغة القصر ضعيف لشهرة لغة الإعراب بالحروف. وعلى الأول فبناؤها لمشابهتها للحرفية لفظاً ومعنى. وبكم الرجل ـ كتعب ـ: إذا عجز عن الكلام. وقدم كسهل وظرف، إذا عجز عن الحجة كأن فمه مسدود. والضن ـ بالكسر ـ: البخل. والملحاة: مفعلة، من لحاه إذا لامه. واللحاء ـ كالرداء ـ مفاعلة من اللحن والعذل، من لحوت العود إذا قشرته. وتكرير أبي ثوبان لتعظيمه والتنويه باسمه، ليس ببكمة بالضم، أي ذي بكمة، أي: ليس بأبكم، ولا فدم: أي عاجز عن الكلام. وعمرو: قيل إنه بدل من أبي ثوبان، فقوله: إن أبا ثوبان إلخ: جملة اعتراضية مبينة لوجه التنزيه. وفي قوله: إن به ضنا، بيان لوجه سكوته عن مؤاخذة اللئام. والمعنى: إن به امتناعاً وتنزهاً عن اللؤم والشتم.
ينظر: المحتسب ١/ ٣٤١، المفضليات ٣٦٧، مجاز القرآن ١/ ٣١٠، وشرح المفصل ٨/ ٤٧، الدرر ١/ ١٩٦، ١/ ٨٤ الإنصاف ١/ ٢٨٠، البحر المحيط ٥/ ٣٠٠، اللسان «حاشا» الأصمعيات ص ٣٦٧، الجنى الداني ص ٥٦٢، والمقاصد النحوية ٣/ ١٢٩، والدر المصون ٤/ ١٧٦، وله أو لسبرة بن عمرو الأسدي في خزانة الأدب ٤/ ١٨٢، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٢.

فإن قلت: فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى: براءة لله؟

قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية؛ ألا ترى إلى قولهم: جلست من عن يمينه كيف تركوا: «عن» غير معرب على أصله؟ وعلى[1] في قوله [من الطويل]:

غَـــدَتْ مِـــنْ عَـــلَـــيْـــهِ... .....

منقلب الألف إلى الياء مع الضمير؟ والمعنى: تنزيه الله ـ تعالى ـ من صفات العجز، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله، وأما قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾: نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه[2]؛ لما عليه محاسن الصور، وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم؛ وذلك لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان؛ ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، وما ركز ذلك فيها إلا؛ لأنّ الحقيقة كذلك، كما ركز في الطباع ألاّ أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة، إلا ما عليه الفئة الخاسئة[3] المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق، وجحودهم للعلوم الضرورية، ومكابرتهم في كل باب، وإعمال: «ما» عمل: «ليس» هي اللغة القدمى الحجازية[4]، وبها ورد القرآن؛ ومنها قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]، ومن قرأ على سليقته من بني تميم، قرأ: (بشر): بالرفع، وهي في قراءة ابن مسعود، وقرئ: «ما هذا بشري»، أي: ما هو بعبد مملوك لئيم، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: تقول: هذا بشري، أي: حاصل بشري، بمعنى: هذا

---

(١) قوله: «على أصله وعلى في قوله» عطفه يحتاج إلى تكلف، أي: وإلى قوله:

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها ....

كيف ترك على في قوله. ويمكن أن التقدير: ألا ترى إلى قولهم إلخ وعلى في قوله أي: وألا ترى على... إلخ.

(٢) قال محمود: «نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه... إلخ» قال أحمد: تقدم القول في مسألة التفضيل شافياً، والزمخشري لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات، يرمي بها أهل الحق فينسب إليهم الإجبار والخسار والمكابرة في الضروريات وجحد الحقائق تعكيساً، وهذا كله هم برآء منه، وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه في اعتقاد أن تفضيل الملك عند قائله ليس ضرورياً ولا عقلياً نظريا، ولكن سمعيا، وقد قنع في الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التي ادعى أنها مركوزة في الطباع، ثم حكم بأن كل مركوز في الطباع حق، وخصوصاً والكلام في طباع النساء القائلات: ما هذا بشراً. وإذا كان كل مركوز في الطباع حقا، فما ركز فيها حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع، أفيكون ذلك حقا إلا عند ناظر بعين الهوى، أعشى في سبيل الهدى، والله ولي التوفيق.

(٣) قوله: «إلا ما عليه الفئة الخاسئة» يريد أهل السنة، وقد أساء في تعصبه للمعتزلة فعفا الله عنه (ع).

(٤) قوله: «ليس هي اللغة القدمى الحجازية» بمعنى القديمة، لكن لم يذكرها في الصحاح (ع).

مشري، وتقول: هذا لك بشري أم بكري؟ والقراءة: هي الأولى؛ لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك، ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ﴾: ولم تقل: فهذا وهو حاضر[1]؛ رفعاً لمنزلته في الحسن، واستحقاق أن يحب ويفتتن به، وربئاً بحاله واستبعاداً لمحله، ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهنّ: عشقت عبدها الكنعاني، تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صوّرتن في أنفسكنّ، ثم لمتنني فيه، تعني: أنكن لم تصوّرنه بحق صورته، ولو صوّرتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتنان به، الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها؛ ونحوه: استمسك واستوسع الفتق، واستجمع الرأي، واستفحل الخطب[2]؛ وهذا بيان لما كان من يوسف ـ عليه السلام ـ لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهمّ والبرهان.

فإن قلت: الضمير في: ﴿مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: راجع إلى الموصول، أم إلى يوسف؟

قلت: بل إلى الموصول، والمعنى: ما آمر به؛ فحذف الجار كما في قولك: أمرتك الخير، ويجوز أن تجعل «ما»: مصدرية، فيرجع إلى يوسف، ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه، أي: موجب أمري ومقتضاه، قرئ: (وليكونا): بالتشديد والتخفيف، والتخفيف أولى؛ لأنّ النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف؛ وذلك لا يكون إلا في الخفيفة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

---

(١) قال محمود: «لم لم تقل فهذا وهو حاضر... إلخ» قال أحمد: وبهذا أجبت عما أورده من السؤال في قوله تعالى أول البقرة ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال: إن قلت كيف أشار إليها وهي قريبة كما يشار إلى البعيد، وأجاب هو بأن كل منقض بعيد، وأجبت أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والذي ذكره التصريفيون في «اسْتَعْصَمَ»: أنه موافق لـ«اعْتَصَمَ» فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه موافق لِـ«افْتَعَلَ»، وهذا أجود من جعل «اسْتَفْعَلَ» فيه للطلب، لأن «اعْتَصَمَ» يدل على وجود اعتصامه، وطلب العصمة لا يدل على حصولها، وأما أنه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة، فلم يذكر التصريفيون هذا المعنى لـ«اسْتَفْعَلَ»، وأما اسْتَمْسَكَ واسْتَوْسَعَ واسْتجمع الرأي فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه لموافقة «افتعل» والمعنى: امتسك واتسع واجتمع، وأما اسْتَفْحَلَ الْخَطْبُ فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه موافقة لـ«تَفَعْلَلَ»، أي تَفَحْلَ الْخَطْبُ، نحو: «اسْتَكْبَرَ وَتَكَبَّرَ». وقرأ العامة بتخفيف نون «وليكونا» ويقفون عليها بالألف إجراء لها مجرى التنوين، ولذلك يحذفونها بعد ضمة أو كسرة، نحو: «هَلْ تقومون، وَهَلْ تَقُومِينَ»، في: «هل تقومُنَّ»، وهَلْ تَقُومِنَّ، والنون الموجودة في الوقف نون الرفع، رجعوا بها عند عدم ما يقتضي حذفها. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

(السجن): بالفتح على المصدر، وقال: ﴿يَدْعُونَنِيٓ﴾: على إسناد الدعوة إليهنّ جميعاً؛ لأنهنّ تنصحن له وزينّ له مطاوعتها، وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار، فالتجأ إلى ربه عند ذلك، وقال: «ربِّ، نزولُ السجن أحبّ إلي من ركوب المعصية».

فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة، وما دعونه إليه لذة عظيمة، فكيف كانت المشقة أحبّ إليه من اللذة؟

قلت: كانت أحبّ إليه وآثر عنده؛ نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما، لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾: فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته، كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر، لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء إليه، ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إليهنّ، والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا؛ لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها، وقرئ: أصب إليهنّ؛ من الصبابة، ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأنّ من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء، أو من السفهاء؛ لأنّ الحكيم لا يفعل القبيح؛ وإنما ذكر الاستجابة ولم/ ١٦٩ب يتقدّم الدعاء؛ لأنّ قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾: فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف، ﴿السميع﴾: لدعوات الملتجئين إليه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأحوالهم وما يصلحهم.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿بَدَا لَهُمْ﴾: فاعله مضمر؛ لدلالة ما يفسره عليه، وهو: «ليسجننه»، والمعنى: بدا لهم بداء، أي: ظهر لهم رأي ليسجننه، والضمير في (لهم): للعزيز وأهله، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾، وهي الشواهد على براءته، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها، وفتلها منه في الذروة والغارب[1]، وكان مطواعة لها وجميلاً ذلولاً زمامه في يدها، حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه، وإلحاق الصغار به كما أوعدته به؛ وذلك لما أيست من طاعته لها، أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها؛ وفي قراءة الحسن: «لتسجننه»: بالتاء على الخطاب: خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه، أو العزيز وحده على وجه التعظيم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زمان، كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون

---

(١) قوله: «وفتلها منه في الذروة» أي دورانها من وراء خديعته. أفاده الصحاح (ع).

منه، وفي قراءة ابن مسعود: «عتى حين»، وهي لغة هذيل، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقرأ: (عتى حين)، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: «إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيًا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام».

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

«مع»: يدل على معنى الصحبة واستحداثها، تقول: خرجت مع الأمير، تريد مصاحباً له، فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له، ﴿فَتَيَانِ﴾: عبدان للملك: خبازه وشرابيه: رقي إليه أنهما يسمانه[1]، فأمر بهما إلى السجن، فأدخلا ساعة أدخل يوسف ـ عليه السلام ـ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية، ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يعني: عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه، وقيل: الخمر ـ بلغة عمان ـ: اسم للعنب، وفي قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً، ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: من الذين يحسنون عبارة الرؤية، أي: يجيدونها، رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤوّلها له، فقالا له ذلك، أو من العلماء؛ لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم، أو من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بأن تفرّج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا، روي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه، وإذا أضاق وسع له، وإذا احتاج جمع له، وعن قتادة: كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا، اصبروا تؤجروا؛ إنّ لهذا لأجراً، فقالوا: بارك الله عليك، ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك! لقد بورك لنا في جوارك، فمن أنت يا فتى؟ قال: «أنا: يوسف ابن صفيّ الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك، ولكني أحسن جوارك، فكن في أي بيوت السجن شئت، وروي أن الفتيين قالا له: إنا لنحبك من حين رأيناك، فقال: أنشدكم بالله ألاّ تحباني، فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل عليّ من حبها بلاء، فلا تحباني ـ بارك الله فيكما ـ وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني أراني في بستان، فإذا بأصل حبلة[2] عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فقطفتها وعصرتها في كأس

---

(١) قوله: «رقي إليه أنهما يسمانه» في الصحاح: رقى إليه الكلام ترقية، أي: رفع إليه (ع).

(٢) قوله: «فإذا بأصل حبلة» في الصحاح «الحبلة» بالضم: ثمر العضاه. وفيه «العضاه» كل شجر يعظم وله شوك والحبلة ـ بالتحريك ـ: القضيب من الكرم. وفيه أيضاً: سلة الخبز معروفة (ع).

الملك، وسقيته، وقال الخباز: إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة، وإذا سباع الطير تنهش منها.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: (نبئنا بتأويله)؟

قلت: إلى ما قصا عليه، والضمير، يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه؛ كأنه قيل: نبئنا بتأويل ذلك.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

لما استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترص ذلك[1]، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله، وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية، والإرشاد، والموعظة، والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك، وفيه أنّ العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده ـ وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين ـ لم يكن من باب التزكية، ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: ببيان ماهيته وكيفيته؛ لأنّ ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه، ﴿ذَٰلِكُمَا﴾: إشارة لهما إلى التأويل، أي: ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾: وأوحى به إليّ ولم أقله عن تكهن وتنجم، ﴿إِنِّى تَرَكْتُ﴾: يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وأن يكون تعليلاً لما قبله، أي: علمني ذلك وأوحى إليّ؛ لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين، وهي الملة الحنيفية، وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر، ومن كان الفتيان على دينهم، وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأنّ غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها[2]، وهم الذين على ملة إبراهيم؛ ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من

---

(١) قوله: «افترص ذلك» أي اتخذه فرصة، أي نوبة وحظا ونصيباً، أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليست «هم» عندنا تدل على الخصوص» قلت: لم يقل الزمخشري إنّ «هم» تدل على الخصوص، وإنما قال: تكرير «هم» للدلالة، فالتكرير هو الذي أفاد الخصوص، وهو معنى حسن فهمه أهل البيان. انتهى. الدر المصون.

الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء، ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن، بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته، وأنّ ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء؛ وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوّة بعد أن عرّفهما أنه نبيّ يوحى إليه، بما ذكر من إخباره بالغيوب؛ ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله، ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما صحّ لنا معشر الأنبياء، ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ أي: شيء كان من ملك أو جنيّ أو إنسيّ/ ١٧٠أ، فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: التوحيد، ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: على الرسل وعلى المرسل إليهم؛ لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: المبعوث إليهم، ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: فضل الله فيشركون ولا يتنبهون، وقيل: إنَّ ذلك من فضل الله علينا؛ لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدلّ بها، وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت، ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم، فيبقون كافرين غير شاكرين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يريد: يا صاحبيَّ في السجن، فأضافهما إلى السجن كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة؛ فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب؛ وإنما المصحوب غيره وهو يوسف ـ عليه السلام ـ ونحوه قولك لصاحبيك: يا صاحبي الصدق، فتضيفهما إلى الصدق، ولا تريد أنهما صحبا الصدق، ولكن كما تقول: رجلا صدق، وسميتهما صاحبين؛ لأنهما صحباك، ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن؛ كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: يريد التفرّق في العدد والتكاثر، يقول: أأن تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا، ﴿خَيْرٌ﴾: لكما، ﴿أَمِ﴾: أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية، بل هو ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالب، وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: خطاب لهما، ولمن على دينهما من أهل مصر، ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ يعني: أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة، ثم طفقتم تعبدونها؛ فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها، ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: سميتم بها، يقال: سميته بزيد، وسميته زيداً، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بتسميتها، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: من حجة، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة والدين، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: ثم بين ما حكم به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾:

الثابت الذي دلت عليه البراهين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: يريد الشرابي، ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾: سيده، وقرأ عكرمة: «فيسقي ربه»، أي: يسقي ما يروي به على البناء للمفعول، روي أنه قال للأوّل: ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده، وأما القضبان الثلاثة: فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن، ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه، وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل، ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: قطع وتم ما، ﴿تَسْتَفْتِيَانِ﴾: فيه من أمركما وشأنكما.

فإن قلت: ما استفتيا في أمر واحد، بل في أمرين مختلفين، فما وجه التوحيد؟

قلت: المراد بالأمر: ما اتهما به من سمّ الملك وما سجنا من أجله، وظنا أنّ ما رأياه في معنى ما نزل بهما، فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك، فقال لهما: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، أي: ما يجرّ إليه من العاقبة، وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر، وقيل: جحدا، وقالا: ما رأينا شيئاً، على ما روي أنهما تحالما له، فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾ الظانّ: هو يوسف، إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي: فالظان هو الشرابي، ويكون الظنّ بمعنى: اليقين[1]، ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي؛ لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فأنسي الشرابي، ﴿ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: أن يذكره لربه، وقيل: فأنسي يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين.

---

(١) قال السمين الحلبي: قُلْتُ: يعني أنه إن كان الظن على بابه فلا يستقيم إسناده إلى يوسف، إلا أن يكون تأويله بطريقة الاجتهاد لأنه متى كان بطريق الوحي كان يقيناً فينسب الظن حينئذٍ للشرابي لا له عليه السلام، وأما إذا كان الظن بمعنى اليقين فتصح نسبته إلى يوسف، وإن كان تأويله بطريق الوحي، وهو حسن وإلى كون الظن على بابه وهو مسند ليوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، ذهب قتادة فإنه قال: الظن هنا على بابه، لأن عِبَارة الرؤيا ظَنٌّ. انتهى. الدر المصون.

فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟

قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان، حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله، عز وجل، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

فإن قلت: ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك؟ وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول؟

قلت: قد لابسه في قولك: «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، أو: عند ربه فجازت إضافته إليه؛ لأنّ الإضافة تكون بأدنى ملابسة، أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه، فحذف المضاف الذي هو الإخبار.

فإن قلت: لم أنكر على يوسف الاستغاثة بغير الله في كشف ما كان فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال حكاية عن عيسى، عليه السلام، ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وفي الحديث: «الله في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ» (٧٨٤) «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ الآخِرَةِ» وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ لم يأخذه النوم ليلة من الليالي، وكان يطلب من يحرسه، حتى جاء سعد فسمعت غطيطه (٧٨٥)، وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية

---

٧٨٤ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث (٣٨/ ٢٦٩٩) والتّرمذي (٤/ ٢٦) كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم حديث (١٤٢٥)، (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في السترة على المسلم حديث (١٩٣٠) وأبو داود (٢/ ٧٠٤) كتاب الأدب: باب في المعونة للمسلم حديث (٤٩٤٦) وابن ماجه (١/ ٨٢) المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (٢٢٥) وأحمد (٢/ ٢٠٢) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١١٩) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٢١ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال النووي في «شرح مسلم» (٩/ ٢٨).
ومعنى (نَفَّس الكُربة): أزالها.
وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرطاً في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.
وقال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث. انتهى.
٧٨٥ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٢٣٢) كتاب التمني باب قوله ﷺ: «ليت كذا وكذا»، ومسلم (٨/ ١٩٥، =

والتموي بالاشربة والأطعمة، وإن كان ذلك؛ لأنّ الملك كان كافراً، فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم، والغرق، والحرق، ونحو ذلك من المضارّ؟

قلت: كما اصطفى الله ـ تعالى ـ الأنبياء على خليقته، فقد اصطفى لهم أحسن الأمور، وأفضلها، وأولاها، والأحسن والأولى بالنبي ألاّ يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه، ولا يعتضد إلا به، خصوصاً إذا كان المعتضد به كافراً؛ لئلا يشمت به الكفار، ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا، وعن الحسن: أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

لما دنا فرج يوسف، رأى ملك مصر «الريان بن الوليد» رؤيا عجيبة هالته: رأى سبع/ ١٧٠ب بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فاستعبرها، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها، ﴿سِمَانٍ﴾: جمع سمين وسمينة، وكذلك رجال ونسوة كرام.

فإن قلت: هل من فرق بين إيقاع: (سمان) صفة للمميز وهو: (بقرات) دون المميز، وهو: (سبع)، وأن يقال: سبع بقرات سماناً؟

قلت: إذا أوقعتها صفة لبقرات، فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات، وهي السمان منهنّ لا بجنسهنّ، ولو وصفت بها السبع، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

فإن قلت: هلا قيل: سبع عجاف على الإضافة؟

قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده.

= ١٩٦) نووي كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد رقم (٢٤١٠) والحاكم (٣/ ٥٠١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عنها بلفظ: «أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قال: وسمعت صوت السلاح، فقال: رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك فقالت عائشة: فنام حتى سمعت غطيطه، وغفل الحاكم فاستدركه... انتهى.

فإن قلت: فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب.

قلت: الفارس، والصاحب، والراكب، ونحوها: صفات جرت مجرى الأسماء، فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها؛ ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ.

فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه؛ ألا ترى أنه لم يقل: بقرات سبع عجاف؛ لوقوع العلم بأنّ المراد البقرات؟

قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء بقولك: (سبع عجاف)، عما تقترحه من التمييز بالوصف، والعجف: الهزال الذي ليس بعده، والسبب في وقوع «عجاف»: جمعاً «لعجفاء»، وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال: حمله على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والنقيض على النقيض.

فإن قلت: هل في الآية دليل على أنّ السنبلات اليابسة كانت سبعاً كالخضر؟

قلت: الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأُخر السبع، ويكون قوله: (وأخر يابسات)، بمعنى: وسبعاً أخر.

فإن قلت: هل يجوز أن يعطف قوله: (وأخر يابسات) على (سنبلات خضر)، فيكون مجرور المحل؟

قلت: يؤدي إلى تدافع، وهو أن عطفها على: (سنبلات خضر) يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميزاً للسبع المذكورة، ولفظ الأخر يقتضي أن تكون غير السبع، بيانه: أنك تقول: عندي سبعة رجال قيام وقعود: بالجرّ، فيصح؛ لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود، على أنّ بعضهم قيام وبعضهم قعود، فلو قلت: عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود، تدافع ففسد، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء، واللام في قوله: ﴿لِلرُّءْيَا﴾: إما أن تكون للبيان؛ كقوله: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، وإما أن تدخل؛ لأنّ العامل إذا تقدّم عليه معموله، لم يكن في قوّته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه، فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل، إذا قلت: هو عابر للرؤيا، لانحطاطه عن الفعل في القوة، ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان؛ كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه، و﴿تَعْبُرُونَ﴾: خبر آخر، أو حال، وأن يضمن: (تعبرون) معنى: فعل يتعدى باللام، كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة

الرؤيا، وحقيقة: «عبرت الرؤيا»: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر، إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره[1]؛ ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا: بالتخفيف، هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون «عبرت»: بالتشديد والتعبير والمعبر، وقد عَثَرْتُ على بيت أنشده المبرِّد في كتاب الكامل لبعض الأعراب [من السريع]:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا ... وَكُنْتُ لِلأَحْلاَمِ عَبَّاراً[2]

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد: ضغث؛ فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى: «من» أي: أضغاث من أحلام، والمعنى: هي أضغاث أحلام.

فإن قلت: ما هو إلا حلم واحد، فلم قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا؟

قلت: هو كما تقول: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز، لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة، تزيداً في الوصف، فهؤلاء ـ أيضاً ـ تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام، ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: إما أن يريدوا بالأحلام: المنامات الباطلة[3]

---

(١) قوله: «آخر عرضه وهو عبره» في الصحاح: «عبر النهر، وعبر شطره وجانبه (ع).

(٢) أنشده المبرد في كتابه. والرؤيا ـ بالألف: مصدر رأى المنامية، ويقل مجيئه بالتاء. ومصدر البصرية بالعكس، وعبرت الرؤيا ـ بالتخفيف وبالتضعيف كما هنا ـ: ذكرت عاقبتها وأدركت غايتها كأولتها. إذا ذكرت مآلها ومرجعها. والأحلام: جمع حلم بالضم، وهو ما يراه النائم. والعبار: مبالغة في المعبر أو في العابر، واللام تزاد في المعمول لتقوية العامل إذا ضعف بالتأخر، أو بكونه فرعاً عن الفعل، وقد اجتمع الأمران ههنا فزيدت اللام.
ينظر: البيت في روح المعاني ١٢/ ٢٥٠، والبحر ٥/ ٣١١، والتاج (عبر)، والدر المصون ٤/ ١٨٧.

(٣) قال محمود: «يحتمل أن يكون مرادهم بالأحلام المنامات... إلخ» قال أحمد: وهذا هو الظاهر، وحمل الكلام على الأول يصيره من وادي [من الطويل]:

على لا حب لا يهتدي بمناره ....

كأنهم قالوا: ولا تأويل للأحلام الباطلة فنكون به عالمين. وقول الملك لهم أولاً ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها، لأنه أتى بكلمة الشك، وجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولاً. وقول الفتى: أنا أنبئكم بتأويله ـ إلى قوله ـ لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون: دليل أيضاً على ذلك. والله أعلم.

خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم، وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

قرئ: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: بالدال، وهو الفصيح، وعن الحسن: «واذكر»: بالذال المعجمة، والأصل: تذكر، أي: تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه، ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدّة طويلة؛ وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها، تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه أن يذكره عند الملك، وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمّة): بكسر الهمزة، والإمّة: النعمة؛ قال عدي [من الخفيف]:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلاَحِ وَالْمُلْكِ وَالإِمْـ ـمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ[2]

أي: بعد ما أنعم عليه بالنجاة، وقرئ: (بعد أمه): بعد نسيان[3]، يقال: أمه يأمه أمها، إذا نسي، ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ[4]، ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: أنا أخبركم

---

(١) قوله: «بنحارير» جمع نحرير وهو العالم المتقن، كما في الصحاح (ع).

(٢) أين كسرى كسرى الملوك أنوشـ ـسان؟ بل أين قبله سابور؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمـ ـمة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جفـ ـف فألوت به الصبا والدبور

لعدي بن زيد. وكسرى وساسان وسابور: أسماء ملوك وساسان: هو أبو الأكاسرة. ويروى: أنو شروان، بدل أبو ساسان؛ فهو كلمة واحدة. وكسرى الثاني بدل من الأول، مضاف لما بعده؛ كما يقال: ملك الملوك، وهو فارسي معرب، وأصله خسرو، فغيرته العربية. وإن كان عربياً مأخوذاً من الكسر؛ فالمعنى أنه كان يكسر شوكة الملوك، وما بعده عطف بيان له وقبله متعلق بمحذوف حال من سابور وفي «بل» دلالة على أن سابور أعظم منهما. وثم ـ بالفتح ـ ظرف خبر لمحذوف أي هم ثم. وإن ضمت فهي عاطفة على محذوف، أي أفلحوا ثم بعد الفلاح، أي البقاء أو الفوز والملك. وروي بدله «الرشد». والإمة ـ بالكسر ـ: النعمة، وبالضم: الجيش العظيم. وارتهم: أي سترتهم قبورهم في ذلك المكان، كناية عن موتهم، فيدفنون في باطن الأرض بعد عظمتهم على وجهها، ثم شبههم بالورق الذي جف فاختلفت به الصبا والدبور، فهذه نظيرة كذا وهذه نظيرة كذا، فألوت بمعنى التوت، أو بمعنى: أوقعت به اللي، يعني تطاول بهم الزمان حتى تفتتت عظامهم وصارت كذلك.
ينظر: ديوانه (٨٩)، مثلثات قطرب / ٤٥، الرازي ١٨/ ١٥٢، فصيح ثعلب ٦٥، شواهد المغني للبغدادي ٤/ ٤٢، ٤٧، ابن الشجري ١/ ٩١، الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، الأغاني ١/ ٢١٥، ١٢٦، وحماسة البحتري ١٢٢، تاريخ الطبري ٢/ ٥٠، ٦٨، اللسان: أم، الدر المصون ٤/ ١٨٨.

(٣) قوله: «قرئ بعد أمه بعد نسيان» لعله أي بعد (ع).

(٤) قوله: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ» بمعنى أثم من الخطأ بالكسر، وهو الإثم. أفاده الصحاح (ع). =

به عمن/ ١٧١أ عنده علمه، وفي قراءة الحسن: أنا آتيكم بتأويله، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾: فابعثوني إليه لأسأله، ومروني باستعباره، وعن ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّيَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

المعنى: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: أيها البليغ في الصدق؛ وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه؛ حيث جاء كما أوّل؛ ولذلك كلمه كلام محترز فقال: ﴿لَعَلِّيَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنه ليس على يقين من الرجوع؛ فربما اخترم دونه، ولا من علمهم فربما لم يعلموا، أو معنى: (لعلهم يعلمون): لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ [الصف: ١١]؛ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر؛ للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد، فهو يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾[1]، ﴿دَأَبًا﴾: بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدرا: دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين: إمّا على تدأبون دأباً، وإمّا على إيقاع المصدر حالاً، بمعنى: ذوي دأب، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾؛ لئلا يتسوس، و﴿يَأْكُلْنَ﴾: من الإسناد المجازي: جعل أكل

= قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء». قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ، وإنما حكى أن بعضهم خطَّأ هذا القارئ فإنه قال: «خطِّئ» بلفظ ما لم يسمَّ فاعله، ولم يقل فقد أخطأ على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه ألبتة. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يدل الأمر بتركه في سنبله على أنَّ «تزرعون» في معنى: ازرعوا، بل «تزرعون»، إخبار غيب وأما «فذروه» فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه». قلت: هذا هو الظاهر ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة، لأنهم يزرعون على عادتهم أمرهم أو لم يأمرهم، وإنما يحتاج إلى الأمر، فيما لم يكن من عادة الإنسان أن يفعله كتركه «في سنبله». انتهى الدر المصون.

أهلهنّ مسنداً إليهنّ، ﴿تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون وتخبؤون، ﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: من الغوث أو من الغيث، يقال: غيثت البلاد، إذا مطرت؛ ومنه قول الأعرابية: غثنا ما شئنا، ﴿يَعْصِرُونَ﴾: بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسمسم، وقيل: يحلبون الضروع، وقرئ: «يعصرون»: على البناء للمفعول، من عصره إذا أنجاه، وهو مطابق للإغاثة، ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى: ينجون، كأنه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم، أي: يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، وقيل: (يعصرون): يمطرون، من أعصرت السحابة، وفيه وجهان: إمّا أن يضمن أعصرت معنى مطرت، فيعدّى تعديته، وإمّا أن يقال: الأصل أعصرت عليهم، فحذف الجار وأوصل الفعل، تأوّل البقرات السمان، والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأنّ العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً، كثير الخير، غزير النعم؛ وذلك من جهة الوحي، وعن قتادة: زاده الله علم سنة.

فإن قلت: معلوم أنّ السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب، وإلا لم توصف بالانتهاء، فلم قلت: إنّ علم ذلك من جهة الوحي؟

قلت: ذلك معلوم علماً مطلقاً لا مفصلاً، وقوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: تفصيل لحال العام؛ وذلك لا يعلم إلا بالوحي.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك[1]، وقدّم سؤال النسوة؛ ليظهر براءة ساحته عما

---

(١) قال محمود: «إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به... الخ» قال أحمد: ولقد مدحه النبي ﷺ على هذه الأناة بقوله: ولو لبثت في السجن بعض ما لبث يوسف لأجبت الداعي، وكان في طيّ هذه المدحة بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق إلى الوهم من أنه هم بزليخا هما يؤاخذ به، لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن، مع أن الدواعي متوفرة على الخروج منه، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر، والله أعلم.

قرف[1] به وسجن فيه؛ لئلا يتسلق به الحاسدون[2] إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم، وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شرّه، وفيه دليل على أنّ الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها؛ قال عليه السلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ[3]» ومنه قال رسول الله ﷺ للمارّين به في معتكفه وعنده بعض نسائه ـ: «هِيَ فُلانَةُ» (٧٨٦) اتقاء للتهمة، وعن النبي ﷺ: «لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَكَرَمِهِ وَصَبْرِهِ ـ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ـ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ العِجَافِ وَالسِّمَانِ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ حَتَّىٰ أَشْتَرِطَ أَنْ يُخْرِجُونِي، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ وَلَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ، لأَسْرَعْتُ الإِجَابَةَ وَبَادَرْتُهُمُ البَابَ وَلَما ٱبْتَغَيْتُ الْعُذْرَ، إِنْ كَانَ لَحَلِيماً ذَا أَنَاةٍ» (٧٨٧)، وإنما قال: سل الملك عن حال النسوة،

---

٧٨٦ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده حديث رقم (٣٢٨١)، ومسلم (٧/ ٤١١) نووي كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً حديث رقم (٢١٧٥)، وأبو داود (٢/ ٣٣٢) كتاب الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، (٤/ ٢٩٨، ٢٩٩) «كتاب الأدب» «باب في حسن الظن» حديث رقم (٤٩٩٤)، وأحمد (٦/ ٣٣٧)، وابن ماجه (١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) «كتاب الصيام» باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد حديث رقم (١٧٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، باب المعتكف يخرج إلى باب المسجد، (٤/ ٣٢٤) «باب المرأة تزور زوجها في اعتكافه»، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣٩٧) «كتاب الرقاق» باب فتنة الشيطان حديث رقم (٤١٠٣).

قال الحافظ:

متفق عليه من حديث علي بن الحسين عن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني. وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأياه أسرعا. فقال: على رسلكما، إنها صفية ـ الحديث» انتهى.

٧٨٧ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٤٩) حديث رقم (١١٦٤٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢)، وقال: رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك، وأخرجه الطبري (٧/ ٢٣٣) رقم (١٩٤١٠).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الطبري (٧/ ٢٣٢) حديث رقم (١٩٤٠٣).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريقه عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة بهذا بدون قوله: «إن كان لحليما ذا أناة» وصله إسحاق من رواية إبراهيم بن يزيد الجوزي عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس بمعناه، وزاد: ولولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن حتى يبتغي الفرج من عند =

---

(١) قوله: «عما قرف به إلخ» أي اتهم به. والتسلق: التوسل (ع).

(٢) يأتي في الأحزاب.

ولم يقل: سله أن يفتش عن شأنهن؛ لأنّ السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة وفصّ الحديث[1]؛ حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل، وقرئ: (النُّسوة): بضم النون، ومن كرمه، وحسن أدبه: أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به، وتسببت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطعات أيديهنّ، ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: إنّ الله تعالى ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: أراد أنه كيد عظيم، لا يعلمه إلا الله، لبعد غوره، أو استشهد بعلم الله على أنهنّ كدنه، وأنه بريء مما قرف به، أو أراد الوعيد لهنّ، أي: هو عليم بكيدهنّ فمجازيهنّ عليه، ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكنّ ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾: هل وجدتنّ منه ميلاً إليكنّ، ﴿قلن حاش لله﴾: تعجباً من عفته، وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي: ثبت واستقرّ، وقرئ: (حصحص): على البناء للمفعول، وهو من حصص البعير: إذا ألقى ثفناته[2] للإناخة؛ قال [من الطويل]:

فَحَصْحَصَ فِي صُمِّ الصَّفَا ثَفِنَاتِهِ ... وَنَاءَ بِسَلْمَى نَوْءَةً ثُمَّ صَمَّمَا[3]

ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنزاهة[4]، واعترافهنّ على أنفسهنّ بأنه لم يتعلق

= غير الله ـ يعني قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾، وأخرجه الطبراني وابن مردويه من طريق إسحاق. وأما قوله: «إن كان لحليما ذا أناة»، فأخرج الطبري من رواية أبي إسحاق عن رجل لم يسم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يرحم الله يوسف، لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً، إن كان لحليما ذا أناة»، ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري، وعن الأعرج عن أبي هريرة. انتهى.

---

(١) قوله: «وفص الحديث» في الصحاح «فص الأمر» مفصله (ع).

(٢) قوله: «ألقى ثفناته للإناخة» هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما، كذا في الصحاح (ع).

(٣) لحميد بن ثور يصف بعيراً بأنه ألقى في الحجارة الصلبة أعضاءه التي يبرك عليها عند الإناخة، والصم جمع صماء أو أصم أي صلب. وناء: أي قام متثاقلاً بسلمى محبوبتي نوأة ونهضة واحدة لم يتردد، ثم صمم وعزم على السير. وروي أن سمرة بن جندب أتي برجل عنين، فاشترى له جارية من بيت المال وأدخلها معه ليلة، فلما أصبح قال له: ما صنعت؟ قال: فعلت حتى حصحصت فيه، فسألها فقالت: لم يصنع شيئاً. فقال: خل سبيلها.
ينظر: ديوانه (١٩)، الألوسي ١٢/ ٢٥٩، اللسان: ص م م، حصص. الدر المصون ٤/ ١٩١.

(٤) قال محمود: «لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن... إلخ» قال أحمد: الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً، وتتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل. وذهب منهم طائفة مع القدرية إلى تجويز الصغائر عليهم، بشرط أن لا تكون منفرة. والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام أنه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به، وإن =

بشيء مما قرفته به؛ لأنهنّ خصومه، وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال؛ وقالت المجبرة والحشوية[1]: نحن قد بقي لنا مقال، ولا بدّ لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: من كلام يوسف[2]، أي: ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة؛ ليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: بظهر الغيب في حرمته، ومحل: ﴿بِالْغَيْبِ﴾: الحال[3]، من الفاعل أو المفعول، على معنى: وأنا غائب عنه، خفي عن عينه، أو وهو غائب عني، خفي عن عيني، ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: بمكان الغيب، وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة، ﴿و﴾: ليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا ينفذه ولا يسدّده، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها،/ ١٧١ب وبه في خيانته أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه، ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته، وأنه لو كان خائناً، لما هدى الله كيده ولا سدّده.

﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه؛ لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الأمانة معجباً ومفتخراً، كما قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ» (٧٨٨) وليبين أنّ ما فيه من

---

٧٨٨ ـ ورد ذلك من حديث جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعبد الله بن سلام.

= الوقف عند قوله ﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ثم يبتدأ ﴿وهم بها. لولا أن رأى برهان ربه﴾ كما تقوله. قتلت زيداً لولا أنني أخاف الله، فلا يكون الهم واقعاً لوجود المانع منه، وهو رؤية البرهان. فإن كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم، وإن كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة، فشأنه وإياهم.

(١) قوله: و«قالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة» يريد أهل السنة وقوله نحن قد بقي لنا إلخ يعني أن حالهم في تفسير الهم والبرهان يمثل بذلك. والفروة: جلدة الرأس (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ الخ: من كلام يوسف عليه السلام والمعنى أن ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم... إلخ» قال أحمد: وإرادته لعموم الأحوال أدخل في تنزيهه، وأدل على أن الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبري من تزكية النفس، فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم (ع).

(٣) قوله: «ومحل بالغيب الحال من الفاعل» لعله محل الحال أو النصب على الحال.

الأمانة ليس به وحده؛ وإنما هو بتوفيق الله، ولطفه، وعصمته، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾: من الزلل، وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها، ولا يخلو، إمّا أن يريد في هذه الحادثة، لما ذكرنا من الهمّ الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية، لا عن طريق القصد والعزم، وإمّا أن يريد به عموم الأحوال، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: أراد الجنس،

= فأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم ٤/ ١٧٨٢ في الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٣/ ٢٢٧٨)، وأبو داود ٢/ ٦٣٠ في السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣). وأحمد ٢/ ٥٤٠ والبغوي في شرح السنة ٧/ ١١ برقم (٣٥١٩) عنه مرفوعاً. «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة. وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

وأما حديث أبي سعيد الخدري فرواه التّرمذي ٥/ ٢٨٨ في التفسير، باب «ومن سورة بني إسرائيل» (٣١٤٨)، وفي المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (٣٦١٥)، وابن ماجه ٢/ ١٤٤٠ في الزهد، باب ذكر الشفاعة (٤٣٠٨) عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر...» فذكره بنحو حديث أبي هريرة ورواه التّرمذي في الموضع الأول مطولاً.

وقال في الموضعين: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أنس فرواه أحمد ٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥، والدارمي ١/ ٢٧ ـ ٢٨ في المقدمة، باب ما أُعطي النبي ﷺ من الفضل، وأبو يَعلى واللفظ له (٤٣٠٥)، عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر».

وأما حديث عبد الله بن سلام فرواه أبو يَعلى (٧٤٩٣)، وابن حِبان (٢١٢٧ ـ موارد) من طريق عمرو الناقد حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي حدثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شفاف عنه مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٥٧ وقال: رواه أبو يَعلى والطبراني، وفيه عمرو بن عثمان الكلابي، وثقه ابن حِبان على ضعفه وبقية رجاله ثقات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، دون قوله: «ولا فخر»، وذكره بإثباتها أبو نعيم في الدلائل، من رواية سهيل عن أبيه عنه في أثناء حديث. ورواه ابن أبي عاصم في الآداب له من حديث عائشة بإثباتها. وأخرجه ابن حِبان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وواثلة وأبي بكر الصديق. ورواه التّرمذي من رواية أبي نضرة عن أبي سعيد بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر...» الحديث وقال: حسن. ورواه بعضهم عن أبي نضرة بن عامر. وهو عند أحمد وأبي يَعلى وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل. وهما من طريق أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فذكره. ولحديث ابن عباس طريق آخر أخرجها الدارقطني في الأفراد من رواية خارجة بن مصعب. وهو ضعيف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وأخرى عن ابن مردويه في أثناء حديث الإسراء بإسناد واه. وفي الباب عن عبادة بن الصامت عند الحاكم وإسناده منقطع، وعن أنس عن البزار. وفيه مبارك بن سحيمة. وهو متروك، وعند أبي يَعلى، وفيه زيادة بن ميمون البختري، وعن عبد الله بن سلام أخرجه أبو يَعلى والطبراني من رواية بشر بن شفاف عنه. وهو معلول. والمحفوظ عن بشر بن شفاف عن عبد الله بن عمرو. وعن جابر أخرجه الحاكم. وفيه القاسم بن محمد بن عبد الله بن عقيل. وهو متروك. انتهى.

أي: إنّ هذا الجنس يأمر بالسوء، ويحمل عليه بما فيه من الشهوات، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة، ويجوز أن يكون: (ما رحم): في معنى: الزمن، أي: إلا وقت رحمة ربي، يعني: أنها أمّارة بالسوء في كل وقت وأوان، إلا وقت العصمة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة؛ كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس: ٤٤]، وقيل معناه: ذلك ليعلم أني لم أخنه؛ لأنّ المعصية خيانة، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز[١]، أي: ذلك الذي قلت: ليعلم يوسف أني لم أخنه، ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه، وما أبرىء نفسي مع ذلك من الخيانة؛ فإني قد خنته حين قرفته[٢]، وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن وأودعته السجن ـ تريد الاعتذار مما كان منها ـ إنّ كل نفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي: إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت.

فإن قلت: كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك؟

قلت: كفى بالمعنى دليلاً قائداً[٣] إلى أن يجعل من كلامه؛ ونحوه قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ كلام فرعون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩ ـ ١١٠] بسحره، ثم قال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم، وعن ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره، ذهب إلى أن: (ذلك ليعلم): متصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ولقد لفقت المبطلة[٤] روايات مصنوعة[٥]؛ فزعموا أن يوسف حين قال: ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: قال له جبريل: ولا حين

---

(١) عاد كلامه. قال: «وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت... إلخ» قال أحمد: وإنما يجري الكلام على هذا الوجه إذا ألجأ إليه محوج، كقوله ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إذ لا يمكن جعله من قول الملأ بوجهه، فتعين أن يصرف الضمير عنه إلى فرعون. وأما هذه الآية فهي تتلو قوله ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إلى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة إلى يوسف عليه السلام قطعاً، ولا ضرورة تدعو إلى حمل الضمير في (ليعلم) على العزيز وجعله من كلام يوسف، وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا، وذلك قوله ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ وفي سياق الآية ما يرشد إلى أن هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر إلى الملك، وأنه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن، فذلك قوله ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾.

(٢) قوله: «حين قرفته» أي اتهمته (ع).

(٣) قوله: «دليلاً قائداً» أي مؤدياً (ع).

(٤) قوله: «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة» يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيما مر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال: «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة... إلخ» قال أحمد: ولقد صدق في التوريك على نقله هذه الزيادات بالبهت، وذلك شأن المبطلة من كل طائفة، كما لفقت القدرية على =

هممت بها، وقالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف؛ وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله[1].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

يقال: استخلصه واستخصه، إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: وشاهد منه ما لم يحتسب، ﴿قَالَ﴾: أيها الصديق، ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كل شيء، روي أنّ الرسول جاءه فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله، «اللهم، أعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعمّ عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات»، وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى[2]، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن، ولبس ثياباً جدداً[3]، فلما دخل على الملك، قال: «اللهمّ، إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعها، فتعجب منه، وقال: أيها الصدّيق، إني أحب أن أسمع رؤياي منك، فقال: رأيت بقرات فوصف لونهنّ وأحوالهنّ ومكان خروجهنّ، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفاً، وقال له: من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء[4]، فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك، ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: ولّني خزائن أرضك، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف؛ وصفاً لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه؛ وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق، وبسط

= قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقاً أن الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول: يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة، كل ذلك ليتم لهم غرضهم في أنه طلب محالاً في العقول على الله تعالى، ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل، والله الموفق.

(١) قوله: «وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله» أي اتهامهم بما لم يفعله. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «البلوي» عبارة النسفي البلواء (ع).

(٣) قوله: «ولبس ثياباً جدداً» في الصحاح: جديد وجدد، كسرير وسرر (ع).

(٤) قوله: «أن تجمع الطعام في الأهراء» كذا عبارة النسفي أيضاً ولكنه ليس في الصحاح بل الذي فيه هرأه البرد يهرأه هرأ أي اشتد عليه حتى كاد يقتله وهرئ المال وهرئ القوم فهم مهرؤون اهـ فأصل الإهراء مواضع يشتد فيها البرد (ع).

العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية؛ ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا، وعن النبي ﷺ: «رَحِمَ الله أَخِي يُوسُفَ، لَوْ لَمْ يَقُلِ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ، لاَسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَخَّرَ ذٰلِكَ سَنَةً» (٧٨٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر، ويكون تبعاً له، وتحت أمره وطاعته؟

قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم، وعن قتادة: هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه، وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به، وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التمكين الظاهر، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: في أرض مصر، روي أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين، ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾: قرئ: بالنون والباء، أي: كل مكان أراد أن يتخذه منزلاً ومتبوّأ له؛ لم يمنع منه؛ لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه، روي أنّ الملك توّجه، وختمه بخاتمه، ورداه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدرّ والياقوت، روي أنه قال له: أمّا السرير: فأشدّ به ملكك، وأما الخاتم: فأدبر به/ ١٧٢أ أمرك، وأمّا التاج: فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال: قد وضعته إجلالاً لك، وإقراراً بفضلك، فجلس على السرير وهانت له الملوك، وفوّض الملك إليه أمره، وعزل قطفير، ثم مات بعده، فزوّجه الملك امرأته زليخا، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طلبت؟ فوجدها عذراء، فولدت له ولدين: إفرائيم وميشا، وأقام العدل

---

٧٨٩ ـ أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٦١٨ ـ بتحقيقنا) أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الثقفي نا مخلد بن جعفر نا الحسن بن علوية نا إسماعيل بن عيسى نا إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً.

وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»:

أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشير عن جويبر عن الضحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. انتهى.

بمصر، وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك، وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً، فقالوا: والله، ما رأينا كاليوم ملكاً أجلّ ولا أعظم منه، فقال للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خوّلني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير؛ تقسيطاً بين الناس، وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر، فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين، ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم، ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أن نأجرهم في الدنيا.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: لهم، قال سفيان بن عيينة: المؤمن: يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر: يعجل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

لم يعرفوه؛ لطول العهد[1]، ومفارقته إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله. التي فارقوه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدراهم معدودة، حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم، ولأنّ الملك مما يبدّل الزيّ ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف، وقيل: رأوه على زيّ فرعون[2]: عليه ثياب الحرير، جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج، فما خطر ببالهم أنه هو، وقيل: ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب، وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج؛ وإنما عرفهم؛ لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ

---

(١) قال محمود: «إنما أنكروه لبعد العهد وتغيير الصورة... إلخ» قال أحمد: وتوارد القادمين في دخولهم عليه ومعرفته لهم عند ذلك، تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة، والله أعلم.

(٢) قوله: «وقيل رأوه على زي فرعون» إن أريد فرعون موسى، فلم يكن قد وجد. وعبارة الخازن: زي ملوك مصر عليه ثياب .. إلخ (ع).

ذاك، ولأنّ همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمّل ويتفطن، وعن الحسن: ما عرفهم حتى تعرّفوا له.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: أصلحهم بعدّتهم، وهي عدّة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون، وأوقر ركائبهم بما جاؤوا من الميرة، وقرئ: (بجهازهم): بكسر الجيم، ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: لا بد من مقدمة سبقت له معهم، حتى اجتر القول هذه المسألة، روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم؟ فإني أنكركم، قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة، أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي؟ قالوا: معاذ الله، نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صدّيق نبي من الأنبياء، اسمه: يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر، فهلك منا واحد، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك، قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأنّ الذي تقولون حق؟ قالوا: إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم، وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون ـ وكان أحسنهم رأياً في يوسف ـ فخلفوه عنده، وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً، عطفاً على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، وأن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنخادعه عنه، وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: وإنا لقادرون على ذلك لانتعايى به، أو: وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿لِفِتْيَانِهِ﴾، وقرئ: (لفتيته)، وهما جمع فتى، كإخوة وإخوان في أخ، و«فعلة»:

للقلة، و«فعلان»: للكثرة، أي: لغلمانه الكيالين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: لعلهم يعرفون حق ردّها وحق التكرّم بإعطاء البدلين، ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾: وفرغوا ظروفهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، وكانت بضاعتهم النعال والأدم، وقيل: تخوّف ألاّ يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به، وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً، وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها، وقيل: معنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلهم يردّونها.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ يريدون: قول يوسف، فإن لم تأتوني به، فلا كيل لكم عندي؛ لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل، ﴿نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه، وقرئ: (يكتل)، بمعنى: يكتل، أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالنا، أو يكن سبباً للاكتيال، فإن امتناعه بسببه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يريد: أنكم قلتم في يوسف، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: كما تقولونه في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك، ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾: فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم، و(حافظاً): تمييز؛ كقولك: هو خيرهم رجلاً، ولله درّه فارساً، ويجوز أن يكون حالاً، وقرئ: (حفظاً)، وقرأ الأعمش: فالله خير حافظ، وقرأ أبو هريرة: خير الحافظين، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: فأرجو أن ينعم عليّ بحفظه ولا يجمع علي/ ١٧٢ب مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

وقرئ: (ردت إلينا): بالكسر، على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء، كما في: قيل وبيع، وحكى قطرب ضرب زيد، على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد، ﴿مَا نَبْغِى﴾: للنفي، أي: ما نبغي في القول، وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه، وكانوا قالوا له: إنا قدمنا على خير رجل، أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من

آل يعقوب ما أكرمنا كرامته، أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان، أو على الاستفهام، بمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟ وفي قراءة ابن مسعود: «ما تبغي»: بالتاء على مخاطبة يعقوب، معناه: أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان، أو من الشاهد على صدقنا؟ وقيل: معناه: ما نريد منك بضاعة أخرى، وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: جملة مستأنفة موضحة لقوله: (ما نبغي)، والجمل بعدها معطوفة عليها، على معنى: إن بضاعتنا ردّت إلينا، فنستظهر بها، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: في رجوعنا إلى الملك، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: فما يصيبه شيء مما تخافه، ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا، فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا؟ وإنما قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط.

فإن قلت: هذا إذا فسرت البغي بالطلب، فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول، كانت الجملة الأولى وهي قوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: بياناً لصدقهم، وانتفاء التزيد عن قيلهم، فما تصنع بالجمل البواقي؟

قلت: أعطفها على قوله: (ما نبغي): على معنى: لا نبغي فيما نقول، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: ونفعل كيت وكيت، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ؛ كقولك: وينبغي أن نمير أهلنا، كما تقول: سعيت في حاجة فلان، واجتهدت في تحصيل غرضه، ويجب أن أسعى، وينبغي لي ألا أقصر، ويجوز أن يراد: ما نبغي، وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا، ثم قالوا: هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع؛ بياناً لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه، وهو وجه حسن واضح، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير، أي: ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢][1].

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

---

(١) قوله: «كقوله ذلك ليعلم» هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب، لأن المعنى يؤدي إليه، كما جاز في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ كونه من كلام يوسف؛ لأن المعنى يقود إليه، فتدبر (ع).

﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾: مناف لحالي[1] ـ وقد رأيت منكم ما رأيت ـ إرساله معكم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله، أراد أن يحلفوا له بالله؛ وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدّد، وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه، ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾: جواب اليمين؛ لأن المعنى: حتى تحلفوا لتأتنني به، ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا[2] فلم تطيقوا الإتيان به، أو إلا أن تهلكوا.

فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟

قلت: (أن يحاط بكم): مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله: (لتأتنني به) في تأويل النفي، معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، أي: لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة: وهي أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده، فلا بد من تأويله بالنفي؛ ونظيره من الإثبات المتأوّل بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت، تريد: ما أطلب منك إلا الفعل، ﴿عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من طلب الموثق وإعطائه، ﴿وَكِيلٌ﴾: رقيب مطلع.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) قال محمود: «معناه أن إرساله معكم مناف... إلخ» قال أحمد: لن للنفي المؤكد. وأما قول الزمخشري في المنافاة له، فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من تتبع كلامه علماً، وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى، على أن قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ معناه أن الرؤية منافية لحالي، وجعل هذه المنافاة من مقتضى (لن) ثم التزم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت، كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى (لن) وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان... إلخ» قال أحمد: وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي، لأن المستثنى منه مسكوت عنه، والنفي عام، إذ يلزم من نفي الإتيان مثلاً نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة، فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه، ولا كذلك الإتيان؛ فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال؛ لأنه لا يتوقف إلا على أحدها، والله أعلم. ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر، وهو قولهم «البلاء موكل بالمنطق» فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف: وأخاف أن يأكله الذئب، فابتلي من ناحية هذا القول. وقال ههنا ثانياً: إلا أن يحاط بكم، أي تغلبوا عليه، فابتلي أيضاً بذلك، وأحيط بهم، وغلبوا عليه.

وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد؛ لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة[1]، اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع، وقال هؤلاء أضياف الملك، انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان، وما أحقهم بالإكرام، لأمر مّا أكرمهم الملك، وقرّبهم، وفضلهم على الوافدين عليه، فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور، فيصيبهم ما يسوؤهم؛ ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرّة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس.

فإن قلت: هل للإصابة بالعين وجه تصحّ عليه؟

قلت: يجوز أن يحدث الله ـ عزّ وجلّ ـ عند النظر إلى الشيء والإعجاب به، نقصاناً فيه وخللاً من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاء من الله، وامتحاناً لعباده، ليتميز المحققون من أهل الحشو[2]، فيقول المحقق: هذا فعل الله، ويقول الحشوي: هو أثر العين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١]، الآية، وعن النبي ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَعُوذ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ فَيَقُولُ: أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ... مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ» (٧٩٠)، ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم، ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق، وهو مصيبكم لا محالة، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين، ﴿مَا

---

٧٩٠ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٦١) كتاب أحاديث الأنبياء باب (١٠) حديث (٣٣٧١) وأبو داود (٤/ ٢٣٥) كتاب السنة: باب في القرآن حديث (٤٧٣٧) والترمذي (٤/ ٣٩٦) كتاب الطب: باب (١٨) حديث (٢٠٦٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠٦، ١٠٠٧) وابن ماجه (٢/ ١١٦٤) كتاب الطب: باب ما عوذ به النبي ﷺ حديث (٣٥٢٥) وأحمد (١/ ٢٣٦، ٢٧٠) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨، ١٠/ ٣١٥) وابن حبان (١٠١٢، ١٠١٣) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأصحاب السنن من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هذا وأتم منه. انتهى.

---

(١) قوله: «كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم» في الصحاح: الشارة: اللباس والهيئة. وفيه. اشتهر الأمر، أي وضح. ولفلان فضيلة اشتهرها الناس (ع).

(٢) قوله: «ليتميز المحققون من أهل الحشو» إن كان مراده أهل السنة، فهم يقولون: تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات، كربط النار بالإحراق، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله هو الفاعل في الحقيقة. قال النسفي: وأنكر الجبائي العين اهـ وهو من مشايخ المعتزلة (ع).

﴿كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾: رأي يعقوب ودخولهم متفرّقين شيئاً قط؛ حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرّقهم، من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك، وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله، وتضاعف المصيبة على أبيهم، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾: استثناء منقطع، على معنى: ولكن حاجة، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: وهي شفقته عليهم، وإظهارها/ ١٧٣أ بما قاله لهم ووصاهم به، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ يعني قوله: (وما أُغني عنكم)، وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضم إليه بنيامين، وروي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال لهم: أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًّا لأجلسني معه، فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً، فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله، قال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح، وسأله عن ولده؟ فقال: لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك، فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه، وعانقه، وقال له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا أَخُوكَ﴾: يوسف، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، ولا تعلمهم بما أعلمتك، وعن ابن عباس: تعرّف إليه، وعن وهب: إنما قال له: أنا أخوك بدل أخيك المفقود، فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم، وروي أنه قال له: أنا لا أفارقك، قال: قد علمت اغتمام والدي بي، فإذا حبستك ازداد غمه، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك، قال: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته، ليتهيأ لي ردّك بعد تسريحك معهم، قال: افعل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها وهي الصواع، قيل: كان يسقى بها الملك، ثم جعلت صاعاً يكال به، وقيل: كانت الدواب تسقى بها ويكال بها، وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك، وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم، وقيل: كانت من فضة مموّهة بالذهب، وقيل: كانت من ذهب، وقيل: كانت مرصعة بالجواهر، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: ثم نادى مناد، يقال: آذنه أعلمه، وأذن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذن؛ لكثرة ذلك منه، روي: أنهم ارتحلوا، وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا، ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا، ثم قيل لهم ذلك، والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ لأنها تعير: أي: تذهب وتجيء، وقيل: هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة: عير، كأنها جمع عير، وأصلها: فعل كسقف وسقف، فعل به ما فعل ببيض وعيد[1]، والمراد: أصحاب العير؛ كقوله: يا خيل الله اركبي، وقرأ ابن مسعود: «وجعل السقاية»: على حذف جواب لما، كأنه قيل: فلما جهزهم بجهازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «تفقدون»: من أفقدته إذا وجدته فقيداً، وقرئ: صواع، وصاع، وصوع، وصوع: بفتح الصاد وضمها، والعين معجمة وغير معجمة، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾: يقوله المؤذن، يريد: وأنا بحمل البعير كفيل، أؤدّيه إلى من جاء به، وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم؛ وإنما قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾: فاستشهدوا بعلمهم، لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم للملك، ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة[2]؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: وما كنا قط نوصف بالسرقة، وهي منافية لحالنا.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الضمير: للصواع، أي: فما جزاء سرقته، ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾: في

---

(١) قوله: «ما فعل ببيض وعيد» لعله: وغيد، بإعجام الغين، وهو جمع غيداء أي ناعمة. أو أغيد، بمعنى وسنان مائل العنق، كذا في الصحاح، فليحرر لفظ المصنف (ع).

(٢) قوله: «وأفواه رواحلهم مكعومة» يقال: كعمت البعير، إذا شددت فمه بالكمام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند هياجه، كذا في الصحاح. (ع)

جحودكم وادّعائكم البراءة منه، ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ أي: جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترقّ سنة؛ فلذلك استفتوا في جزائه، وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: تقرير للحكم، أي: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير؛ كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه، فذلك حقه، أي: فهو حقه؛ لتقرّر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه[1]، ويجوز أن يكون: (جزاؤه): مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأوّل: إلى من، والثاني: إلى الأخ، ثم نقول: «فهو أخوه»: مقيماً للمظهر مقام المضمر، ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه، كما يقول: من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم، ثم يقول: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾[2] [المائدة: ٩٥].

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾: قيل: قال لهم من وكل بهم: لا بدّ من تفتيش أوعيتكم، فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين؛ لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه، فقال: ما أظنّ هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله، لا تتركه حتى تنظر في رحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فاستخرجوه منه، وقرأ الحسن: «وعاء أخيه»: بضم الواو، وهي لغة، وقرأ سعيد بن جبير: «إعاء أخيه»: بقلب الواو همزة.

فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرّات ثم أنّثه؟

---

(١) قوله: «من استحقاقه وتلزمه. ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ» سيذكر أن حكم السارق في دين ملك مصر: أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو متكلف، إذ تصير الجملة من قوله: «المسؤول عنه جزاؤه»، على هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة، إذ قد علم من قوله: «فَمَا جَزَاؤُهُ»، أنَّ الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأي فائدة في نطقهم بذلك، وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي». قُلْتُ: قوله: «ليس فيه كبير فائدة» ممنوع، بل فيه فائدة الإضمار المذكور في علم البيان، وفي القرآن أمثال ذلك. انتهى. الدر المصون.

قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على السقاية، أو أنث الصواع؛ لأنه يذكر ويؤنث، ولعلّ يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية، وفيما يتصل بهم منه صواعاً، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا﴾: مثل ذلك الكيد العظيم كدنا، ﴿قَالَ يُوسُفُ﴾ يعني: علمناه إياه وأوحينا به إليه، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: تفسير للكيد وبيان له؛ لأنه كان في دين ملك مصر، وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد، ﴿إلا أن يشاء الله﴾/ ١٧٣ب أي: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه، وقرئ: «يرفع»: بالياء، ودرجات بالتنوين، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: فوقه أرفع درجة منه في علمه، أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم، وهو الله عز وعلا.

فإن قلت: ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً، فمن أي وجه حسن هذا الكيد؟ وما هو إلا بهتان، وتسريق لمن لم يسرق، وتكذيب لمن لم يكذب، وهو قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾؟

قلت: هو في صورة البهتان، وليس ببهتان في الحقيقة؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف، وقيل: كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف، وقوله: (إن كنتم كاذبين)؛ فرض لانتفاء براءتهم، وفرض التكذيب لا يكون تكذيباً، على أنه لو صرّح لهم بالتكذيب، كما صرّح لهم بالتسريق، لكان له وجه؛ لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: ﴿وَنَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية؛ كقوله ـ تعالى ـ لأيوب ـ عليه السلام ـ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]، ليتخلص من جلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: هي أختي؛ لتسلم من يد الكافر، وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله ـ تعالى ـ في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة، فجعلها سلماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا.

﴿۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَخٌ لَّهُ﴾: أرادوا يوسف؛ روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين، نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوّدت وجوهنا، يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا

يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة، فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجدّه أبي أمه، فكسره، وألقاه بين الجيف في الطريق، وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه، وقيل: كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل، وقيل: كانت لإبراهيم ـ عليه السلام ـ منطقة يتوارثها أكابر ولده، فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده، فحضنت يوسف ـ وهي عمته ـ بعد وفاة أمه، وكانت لا تصبر عنه، فلما شبّ، أراد يعقوب أن ينتزعه منها، فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه، وقالت: فقدت منطقة إسحاق. فانظروا من أخذها، فوجدوها محزومة على يوسف، فقالت: إنه لي سلم أفعل به ما شئت، فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت، ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: إضمار على شريطة التفسير، تفسيره: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ وإنما أنث لأنّ قوله: (أنتم شر مكاناً): جملة أو كلمة، على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة، كأنه قيل: فأسرّ الجملة أو الكلمة التي هي قوله: ﴿أنت شرٌ مكاناً﴾، والمعنى: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً؛ لأنّ قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: بدل من أسرّها، وفي قراءة ابن مسعود: «فأسرّه»: على التذكير، يريد القول أو الكلام، ومعنى: (شر مكاناً): أنتم شر منزلة في السرق؛ لأنكم سارقون بالصحة، لسرقتكم أخاكم من أبيكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة، وليس الأمر كما تصفون.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

استعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب، وأنه شيخ كبير السنّ أو كبير القدر، وأنّ بنيامين أحب إليه منهم، وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه ثكلان[1]، وأنه مستأنس بأخيه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إلينا فأتمم إحسانك، أو من عادتك الإحسان فاجرِ على عادتك ولا تغيرها.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: هو كلام موجه، ظاهره: أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد

(١) قوله: «قد هلك وهو عليه ثكلان» أي حزين أسيف على فقد ولده (ع).

الصواع في رحله واستعباده، فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً في مذهبكم، فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم، وباطنه: إنّ الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك، فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحي، ومعنى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ﴾: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ، فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من، و﴿إِذًا﴾: جواب لهم وجزاء؛[1] لأن المعنى: إن أخذنا بدله ظلمنا.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: يئسوا، وزيادة السين والتاء في المبالغة؛ نحو: ما مرّ في استعصم، و«النجي»: على معنيين: يكون بمعنى: المناجي، كالعشير والسمير بمعنى: المعاشر والمسامر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]؛ وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كما قيل: النجوى، بمعناه، ومنه قيل: قوم نجى، كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ١٧]؛ تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: هم نجى؛ كما قيل: هم صديق؛ لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية؛ قال [من الرجز]:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ[2]

---

(١) قوله: «وإذاً جواب لهم وجزاء، أي لقولهم ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ (ع).

(٢) إني إذا ما القوم كانوا أنجيه ... واضطرب القوم اضطراب الأرشيه
وشد فوق بعضهم بالأرويه ... هناك أوصيني ولا توصي بيه

من أبيات الحماسة. و«ما» زائدة. والأنجية. جمع نجي بمعنى المناجي، كالسمير والجليس والعشير، بمعنى المفاعل. أو النجي: مصدر كالدوي والأزيز والنشيج والنتيج والصهيل، كلها أنواع من الصوت، فيكون على حد «زيد عدل» ولو قلت: إنه جمع نجاء مصدر ناجاه، كقتال مصدر قاتله لجاز، وكان كالأرشية جمع رشاء وهو حبل الاستقاء، والأروية جمع رواء وهو حبل الارتواء والاستقاء أيضاً، أي: كانوا فرقاً متناجين ومتشاورين فيما نزل بهم واضطربوا قياماً وقعوداً وذهاباً وإياباً، كاضطراب الأرشية على الماء. ويروى: واضطربت أعناقهم كالأرشية. وشد: مبني للمجهول، أي: شد بعضهم بعضاً وشمره وحزمه بحبال الاستقاء، كناية عن استعدادهم للحرب. ويبعد كونه كناية عن الاستعداد للاستقاء في الزمن الجدب هناك، أي: في ذلك الزمان أو المكان. قيل: أو فيهما أكون شجاعاً صبوراً، فأوصيني بغيري ولا توصي غيري بيه. وظاهر البيت جواز الإخبار عن اسم إن بجملة إنشائية وليس كذلك، بل هو على التأويل كما ترى. والخطاب لمؤنثة. ويجوز: أنه لمذكر. وثبوت الياء في الفعلين للإشباع. والهاء في «بيه» للسكت. فهذا كناية عن =

ومعنى ﴿وَٱخْلَصُوا۟﴾: اعتزلوا وانفردوا عن الناس، خالصين لا يخالطهم سواهم، ﴿نَجِيًّا﴾: ذوي نجوى، أو فوجاً نجيا، أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً، وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجياً؛ لاستجماعهم لذلك، وإفاضتهم فيه بجدّ واهتمام، كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته، وكان تناجيهم في تدبير أمرهم، على أيّ صفة يذهبون؟ وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم؟ كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب، فاحتاجوا إلى التشاور، ﴿كَبِيرُهُمْ﴾: في السنّ وهو روبيل، وقيل: رئيسهم وهو شمعون، وقيل: كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا، ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾: فيه وجوه: أن تكون «ما»: صلة،/ ١٧٤أ أي: ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف، ولم تحفظوا عهد أبيكم، وأن تكون مصدرية، على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو (من قبل)، ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم في يوسف، أو النصب عطفاً على مفعول: (ألم تعلموا)، وهو: (أن أباكم)؛ كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً وتفريطكم من قبل في يوسف[1]، وأن تكون موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدّمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة، ومحله: الرفع أو النصب على الوجهين، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: فلن أفارق أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾: في الانصراف إليه؛ ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾:

= شجاعته وتجلده. أو كناية عن كرمه على البعد.

البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي. ينظر: اللسان والصحاح «نجا»، أساس البلاغة ٤٤٨، وجمهرة اللغة ص ٢٣٥، ٨٠٩، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٤٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٦٥٦، وشرح شواهد المغني ٩١٤، المغني ٢/ ٥٨٥، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٥، وروح المعاني ١٣/ ٣٥، ومعاني الزجاج ٣/ ١٢٤، والبحر المحيط ٥/ ٣٣١، والدر المصون ٤/ ٢٠٥.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي ذهبا إليه ليس بجيد، لأنّ فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد، وبين المعطوف، فصار نظير» ضربتُ زيداً وبسيفٍ عمراً وقد زَعَمَ أبو علي الفارسي: «أنه لا يجوز ذلك إلاّ في ضرورة شعر». قُلْتُ: أيضاً هذا الردُّ سبقه إليه أبو البقاء، ولم يرتضه، فقال: وقيل هو ضعيف، لأن فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف، وقد بينا في سورة النساء أن هذا ليس بشيء. قُلْتُ: يعني أن منع الفصل بين حرف العطف والمعطوف ليس بشيء. وقد تقدم إيضاح ذلك وتقريره في سورة النساء كما أشار إليه أبو البقاء.

ثم قال الشيخ: وأما تقدير الزمخشري: «وتفريطكم من قبل في يوسف، فلا يجوز، لأن فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدري والفعل عليه، وهو لا يجوز». قُلْتُ: ليس في تقدير الزمخشري شيء من ذلك لأنه لما صرح بالمقدر أخر الجارين والمجرورين عن لفظ المصدر المقدر، كما ترى، وكذا هو في سائر النسخ، وكذا ما نقله الشيخ عنه بخطه، فأين تقديم المعمول على المصدر؟، ولو رد عليه وعلى ابن عطية بأنه يلزم من ذلك تقديم معمول الصلة على الموصول لكان ردا واضحاً، فإنّ «مِنْ قَبْلُ» متعلق بـ«فَرَّطْتُمْ» وقد تقدم على «مَا» المصدرية، وفيه خلاف مشهور. انتهى. الدر المصون».

بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

وقرئ: (سُرِّق) أي: نسب إلى السرقة، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾: عليه بالسرقة، ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: من سرقته[1] وتيقناه؛ لأنّ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق[2]، أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ: (سرّق)، فمعناه: وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق، وما كنا للغيب: للأمر الخفي حافظين، أسرق بالصحة أم دسّ الصاع في رحله ولم يشعر.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾: هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة، ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحاب العير، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء، معناه: فرجعوا إلى أبيهم، فقالوا له ما قال لهم أخوهم: فـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

---

(١) قال محمود: «معناه وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمناه من سرقته... إلخ» قال أحمد: إما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشيء بيد المدعى عليه بعد إنكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره إذاً. وإما أن لا يكون كذلك، فهذا القدر من مجرد وجوده في رحله لا يوجب علم كونه سارقاً. وغايته أن يفيد ظنا بيناً، فيكون المراد بالعلم ههنا الظن. وقد ورد مثله، ويكون قولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ تنبيهاً على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال. وأما كشف باطن الأمر الموجب للعمل فليسوا يدعونه عليه.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ معناه: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق... إلخ» قال أحمد: وإنما تلتئم القراءتان على التأويل الذي ذكرته، وهو أنهم إنما أضافوا إليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال، واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا: وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه. وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لأن مقتضى الأولى الجزم عليه بالسرقة علماً. ومقتضى الثانية التبري من الجزم، والله أعلم.

لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أردتموه[1]، وإلا فما أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم، ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي في الحزن والأسف، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة ومصلحة.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم؛ كراهة لما جاؤوا به، ﴿يا أسفي﴾: أضاف الأسف وهو أشدّ الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿من سبإ بنبإ﴾[2] [النمل: ٢٢] وعن النبي ﷺ: «لَمْ تُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَم ـ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ـ عِنْدَ المُصِيبَةِ إلا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٧٩١)، ألا ترى إلى

---

٧٩١ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٧)، والطبري في تفسيره (٧/ ٢٧٥) رقم (١٩٦٦٤)، =

---

(١) قال محمود: «إن هذا شيء أردتموه... إلخ» قال أحمد: وهذا من الزمخشري إسلاف جواب عن سؤال، كأن قائلاً يقول: هم في الوقعة الأولى سولت لهم أنفسهم أمراً بلا مراء، وأما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوءاً، ولا أخبروا أباهم إلا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر إلا مغلوبين عن استصحابه، فما وجه قوله ثانياً ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ كما قال لهم أولاً، وإذا ورد السؤال على هذا التقرير فلا بد من زيد بسط في الجواب فنقول: كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين، وهم قمن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها، وهي أخذ الملك له في السرقة، ولم يكن ذلك إلا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم، وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ تنبيهاً من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم، فعلم أن الملك إنما فعل ذلك بفتواهم له به، وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمداً ليتخلف أخوهم، وكان الواقع أنهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة، فذكروا ما عندهم، ولم يشعروا أن المقصود إلزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة إليه لا حرج فيه، وخصوصاً فيما يرجع إلى الوالد من الولد. ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون الوجه الذي سوغ له هذا القول في حقهم أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة، من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقاً بوجه معلوم، وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه، فإن كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم إذاً غير محررة، وهو إشعار بأنهم كانوا حراصاً على ثبوت السرقة عليه، ويؤكد ذلك قولهم ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه، والله أعلم. وقوله لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) واقع بمكانه من حالهم، وإن كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفاً لشرعنا، فالعمدة على الجواب الأول، والله المستعان.

(٢) قال السمين الحلبي: قلت: ويسمى هذا النوع «تجنيس التصريف»، وهو أن تشترك الكلمتان في =

يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع؛ وإنما قال يا أسفي».

فإن قلت: كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث، والرزء الأحدث أشدّ على النفس وأظهر أثراً؟

قلت: هو دليل على تمادي أسفه على يوسف، وأنه لم يقع فائت عنده موقعه، وأنّ الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا [من الطويل]:

فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ..... [1]

ولأنّ الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به، ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر، قيل: قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قرئ: «من الحزن»، «ومن الحزن»، الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض،

= والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١١٧) رقم (٩٦٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٠) حديث رقم (١٢٤١١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي من حديث محمد بن سعيد الهادي عن إسحاق بن الربيع بن سفيان بن زياد المعصفري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر عن سفيان بن زياد. ورواه: عبد الرزاق من طريق الطبري عن الثوري عن سفيان عن زياد المعصفري عن سعيد بن جبير، أقول: وكذا رواه البيهقي في الشعب من رواية أبي عامر عن الثوري قال: ورفعه بعض الضعفاء وليس بشيء. انتهى.

= لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس في الأخرى. انتهى الدر المصون.

(١) تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع
فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

لهشام بن عقبة العذري، يرثي أخاه ذي الرمة، واسمه غيلان بن عقبة. ويرثي أوفى بن دلهم. وقيل: يرثي أخويه. يقول: تعزيت أي تسليت عن أوفى بموت غيلان بعده، أي نابني ما يوجب النسيان الأول ولم أنسه، والحال أن جفن عيني ممتلئ بالدموع. أو المعنى: تكلفت التسلي فلم أقدر. ويقال: أترع الحوض إذا ملأه بالماء في المترع توكيد. ويجوز تشبيه الجفن بالحوض على طريق المكنية والإترع تخييل، فلم تنسني أوفى المصيبات التي أصابتني بعده موت أخي غيلان، ولكن زادتني حزناً على حزني. والقرح: الجرح إذا اندمل ويبست جلبته. والنكاء: كشط تلك الجلبة. ويروى: ولكن نكأ بتشديد النون. والنكأ: التي منها وزن الضرب، فشبه حال مصيبته الأولى التي طرأ عليها غيرها فزادها بحال ذلك الجرح على سبيل التمثيلية، أي: ولكن نكأ القرح أوجع به من الحالة الأولى. وأظهر محل المضمر لإظهار التوجع والتفجع. أو المعنى: ولكن نكأ القرح الأول بقرح غيره أوجع بالإنسان مما كان، فبالقرح متغلق بأوجع، أو بنكاء.

ينظر: أساس البلاغة (نكأ)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص ١١٠٥).

فكأنه حدث من الحزن، قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل ـ عليه السلام ـ: «مَا بَلَغَ مِنْ وَجْدِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ؟ قَالَ: وَجْدَ سَبْعِينَ ثَكْلَىٰ، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ؟ قَالَ: أَجْرُ مائَة شَهِيدٍ، وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِالله سَاعَةً قَطُّ» (٧٩٢).

فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟

قلت: الإنسان مجبول على ألاَّ يملك نفسه عند الشدائد من الحزن؛ ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم، وقال: «القَلْبُ يَجْزَعُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» (٧٩٣)؛ وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب، وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته، وهو يجود بنفسه، فقيل: يا رسول الله، تبكي وقد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْبُكَاءِ؛ وَإِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ: صَوْتٌ عِنْدَ الفَرَحِ، وَصَوْتٌ عِنْدَ التَّرَحِ» (٧٩٤)؛ وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال: ما

---

٧٩٢ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨١) رقم (١٩٧٢٤).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده مرفوعاً. وأخرجه الطبري من رواية عيسى بن يزيد عن الحسن البصري أنه قيل له: ما بلغ.. فذكره.

٧٩٣ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٦) «كتاب الجنائز» «باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» حديث رقم (١٣٠٣)، ومسلم (٨/ ٨٢) نووي «كتاب الفضائل»، «باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه حديث رقم (٢٣١٥).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث أنس.

٧٩٤ ـ أخرجه التِّرمذي (٣/ ٣١٨) «كتاب الجنائز»، «باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت»، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٩) حديث رقم (٩٧٣٧).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
قال المخرج عزاه الطيبي إلى الصحيحين فلم يصب. ولم يرد هذا في ولد بعض بناته، وإنما ورد في ولده إبراهيم؛ كما أخرجه التِّرمذي وابن أبي شيبة وإسحاق وعبد بن حميد وغيرهما من حديث جابر. وأخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف نحوه. والذي ورد في بعض بناته متفق عليه من حديث أسامة، وفيه: «ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»، قلت: والأول إنما هو بلفظ: «قال عبد الرحمن بن عوف: أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين: صوت عند مصيبة، وخمش وجوه، ورنة شيطان، وشق جيوب. وصوت نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان». انتهى.

رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: فهو مملوء من الغيظ[1] على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم، فعيل بمعنى: مفعول؛ بدليل قوله: (وهو مكظوم): من كظم السقاء إذا شدّه على ملئه، والكظم بفتح الظاء: مخرج النفس، يقال: أخذ بأكظامه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿تَفْتَؤُا﴾ أراد: لا تفتؤ، فحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون؛ ونحوه [من الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً ..... [2]

ومعنى (لا تفتؤ): لا تزال، وعن مجاهد: لا تفتر من حبه، كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين؛ يقال: ما فتئ يفعل؛ قال أوس [من الطويل]:

فَمَا فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وَتَدْعِي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لاَحِقٌ وَتَقَطَّعُ [3]

---

(١) قوله: «فهو مملوء من الغيظ» أي الغضب الكامن. أفاده الصحاح. قوله: «ولا يظهر ما يسوؤهم» أي لما صنعوا بيوسف وأخيه (ع).

(٢) سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
فقلت: يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
لامرئ القيس. يقول: سموت إلى محبوبتي سلمى بعد نوم أهلها، ولم يسمع لي أحد صوتاً، ولم تشعر بي هي إلا وأنا عندها، كسمو حباب الماء فوقه بسهولة. وحباب الماء ـ بالضم: اسم لثعبان الماء. وحباب الماء ـ بالفتح ـ: فقاقعه التي تعلوه. وقوله: «حالاً على حال» واقع موقع الحال المؤكدة للتشبيه، أي: حالاً منطبقاً على حال ومساوياً له، كقولك «سواء بسواء» وههنا حذف، أي: فخوفتني بالقوم، فقلت: يمين الله أبرح، أي: لا أبرح قاعداً. وحذف «لا» النافية للمضارع بعد القسم كثير لأمن اللبس، ولأنه لولا تقديرها لوجب اقتران الفعل بلام جواب القسم أو بنون التوكيد أو بهما. ويمين: نصب بمحذوف، أي أحلف يمين الله، فهو كالمصدر النائب عن فعله. وبقية القصة تقدمت.
ينظر: ديوانه (١٢٥)، شواهد الكتاب ٣/ ٥٠٤، وأوضح المسالك ١/ ١٦٣، والخصائص ٢/ ٢٨٤، والدرر ٢/ ٤٢، والدر المصون ١/ ٤٦٢، فتح القدير ٣/ ٥٠.

(٣) لأوس بن حجر، وكنى بالخيل عن أصحابها. ويقال: ثاب وثوب، إذا لوح بطرف ثوبه عند النداء من بعيد. وتدعي: تفتعل من الدعاء أي يدعو بعضهم بعضاً. ويحتمل أن تثوب بمعنى ترجع، أي تذهب وترجع. ومعنى «تدعي» تلاحق وينتسب بعضها إلى بعض مجازاً، فيجوز أن الخيل حقيقة. أو شبه الخيل بالناس على طريق المكنية، والادعاء بمعنى التنادي تخييل، وهذان الوجهان أنسب بقوله: «ويلحق» أي يسبق منها سابق. وتقطع: أي تتقطع وينقطع بعضها عن بعض قطعاً قطعاً، فهي تجتمع وتفترق: صور الحرب من أولها إلى آخرها في هذا البيت، أي: فما زالت الخيل تفعل كذلك حتى انتهت الحرب.
ينظر: ديوانه (٥٨)، مجاز القرآن ١/ ٣١٦، والجمهرة ٣/ ٢٨٧، تفسير غريب القرآن ٢٢١، البحر ٥/ ٣٢٤، الطبري ١٣/ ٢٨، الدر المصون ٤/ ٢٠٩.

﴿حَرَضًا﴾: مشفياً على الهلاك مرضاً، وأحرضه المرض، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر، والصفة: حَرِض: بكسر الراء، ونحوهما: دنف ودنف، وجاءت القراءة بهما جميعاً، وقرأ الحسن: «حرضاً»: بضمتين؛ ونحوه في الصفات: رجل جنب وغرب.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثه إلى الناس، أي: ينشره، ومنه: باثه أمره، وأبثه/ ١٧٤ب إياه، ومعنى ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ﴾: إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم؛ إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه، فخلوني وشكايتي، وهذا معنى توليه عنهم، أي: فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه، وقيل: دخل على يعقوب جارٌ له فقال: يا يعقوب، قد تهشمت، وفنيت، وبلغت من السن ما بلغ أبوك! فقال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب، أتشكوني إلى خلقي؟ قال: يا رب، خطيئة أخطأتها فاغفر لي، فغفر له، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وروي أنه أوحى إلى يعقوب: إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه، وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء، ثم المساكين، فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين، وقيل: اشترى جارية مع ولدها، فباع ولدها فبكت حتى عميت، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حيّ فاطلبه، وقرأ الحسن: «وَحَزَني»: بفتحتين، «وحُزُني»: بضمتين: قتادة.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتعرّفوا منهما وتطلبوا خبرهما، وقرئ: بالجيم، كما قرئ بهما في الحجرات، وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] ومن الجس، وهو: الطلب، ومنه قالوا لمشاعر الإنسان: الحواس، والجواس، ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾: من فرجه وتنفيسه، وقرأ الحسن وقتادة: «من روح الله»: بالضم، أي: من رحمته التي يحيا بها العباد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ٱلضُّرُّ﴾: الهزال من الشدّة والجوع، ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾: مدفوعة يدفعها كل تاجر؛ رغبة عنها واحتقاراً لها، من أزجيته إذا دفعته وطردته، والريح تزجي السحاب، قيل: كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: الصنوبر وحبة الخضراء، وقيل: سويق المقل والأقط، وقيل: دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة، ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾: الذي هو حقنا، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زدنا على حقنا، فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة؛ لأنّ الصدقات محظورة على الأنبياء، وقيل: كانت تحل لغير نبينا، وسئل ابن عيينة عن ذلك؟ فقال: ألم تسمع: (وتصدّق علينا) أراد: أنها كانت حلالاً لهم، والظاهر أنهم تمسكنوا له، وطلبوا إليه أن يتصدّق عليهم، ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم، فلم يتمالك أن عرّفهم نفسه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: شاهد لذلك لذكر الله وجزائه، والصدقة: العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله، ومنه قول الحسن ـ لمن سمعه يقول: اللهم تصدق عليّ: ـ إن الله تعالى لا يتصدق؛ إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب، قل: اللهم، أعطني، أو تفضل عليّ، أو ارحمني.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم﴾: أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً[1]، فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: لا تعلمون قبحه؛ فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً؛ إيثاراً لحق الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور[2]، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور، فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها[3]، ولله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل: لم يرد نفي العلم عنهم؛ لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل[4]، سماهم جاهلين، وقيل: معناه: إذ

---

(١) قال محمود: «أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً، فكلمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح... إلخ» قال أحمد: ومن تلطفه بهم قوله ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ كالاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم، وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلفوا عذراً كهذا، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال: فعلتها إذاً وأنا من الضالين.

(٢) قوله: «وينفث المصدور... إلخ» المصدور: الذي يشتكي صدره. والمحنق: المغيظ. والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، كذا في الصحاح (ع).

(٣) قوله: «ما أوطأها وأسجحها» أي ما أسهلها وما أرفقها، أفاده الصحاح. وفيه: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ولب، فحصا عقولهم: إضافة بيانية (ع).

(٤) قوله: «ولا يقدم عليه إلا جاهل» لعله عطف على المعنى لأن قوله: «لم يفعلوا... إلخ» بمعنى =

أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا: مسنا وأهلنا الضر، وتضرعوا إليه: ارفضت عيناه، ثم قال هذا القول، وقيل: أدوا إليه كتاب يعقوب: من يعقوب إسرائيل الله بن إسْحَاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدّي فشدّت يداه ورجلاه، ورمي به في النار ليحرق، فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، وأما أبي: فوضع السكين على قفاه ليقتل، ففداه الله، وأمّا أنا فكان لي ابن وكان أحبّ أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمّه وكنت أتسلى به، فذهبوا به ثم رجعوا، وقالوا: إنه سرق، وأنك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، والسلام»، فلما قرأ يوسف الكتاب، لم يتمالك وعيل صبره، فقال لهم ذلك، وروي أنه لما قرأ الكتاب، بكى وكتب الجواب: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

فإن قلت: ما فعلهم بأخيه؟

قلت: تعريضهم إياه للغم والثكل[1] بإفراده عن أخيه لأبيه وأمّه، وجفاؤهم به، حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الذليل للعزيز، وإيذاؤهم له بأنواع الأذى.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قرئ: (أئنك): على الاستفهام، «وأنك»: على الإيجاب، وفي قراءة أبيّ: «أئنك أو أنت يوسف»: على معنى: أئنك يوسف أو أنت يوسف، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب/ ١٧٥أ مستغرب لما يسمع، فهو يكرر الاستثبات.

فإن قلت: كيف عرفوه؟

قلت: رأوا في روائه[2] وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم

= فعلوا مالا يقتضيه العلم (ع).

والثكل: فقدان المرأة ولدها، كما في الصحاح. والمراد هنا الحزن (ع).

قوله: «قلت رأوا في روائه» بالضم، أي منظره. أفاده الصحاح (ع).

بأنّ ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم، لا عن بعض أعزاء مصر، وقيل: تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم، وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها، تشبه الشامة البيضاء.

فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ على أن أخاه كان معلوماً لهم.

قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه، ﴿مَن يَتَّقِ﴾: من يخف الله وعقابه، ﴿وَيَصْبِرْ﴾: عن المعاصي وعلى الطاعات، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾: أجرهم، فوضع المحسنين موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين والصابرين، ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإنّ شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم، لم نتق ولم نصبر، لا جرم أنّ الله أعزّك بالملك وأذلنا بالتمكن بين يديك، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيب عليكم ولا عتب، وأصل التثريب: من الثرب، وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع[1]؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه.

فإن قلت: بم تعلق اليوم؟[2].

قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في: (عليكم)، من معنى الاستقرار، أو بيغفر، والمعنى: لا أثربكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم، يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك: على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قول المشمت: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، و(اليوم يغفر الله لكم): بشارة بعاجل غفران الله، لما تجدّد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم، وروي أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح، فقال لقريش: «مَا تَرُونَنِي فَاعِلاً بِكُمْ؟» قَالُوا: نَظُنُّ خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وقد

---

(١) قوله: «والقرع» في الصحاح «القرع» بالتحريك: بثر أبيض، يخرج بالنصال. والتقريع: معالجة الفصيل من القرع، ينزع ذلك منه (ع).

(٢) قال: «فإن قلت بم تعلق اليوم في قوله ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه. ألا ترى إلى قولهم بعد ذلك ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ وقوله (سوف أستغفر لكم ربي) دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب، ولو كان متعلقاً بيغفر للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ بأخبار النبي الصديق. ويحتمل أن يقال: إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركاً بينهما، والله أعلم.

قدرت، فقال: «أَقُولُ مَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ» (٧٩٥)، وروي أنّ أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت الرسول فاتل عليه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾، ففعل، فقال رسول الله ﷺ «غَفَرَ الله لَكَ وَلِمَنْ عَلَّمَكَ» (٧٩٦). ويروى أن إخوته لما عرفوه وأرسلوا إليه: إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال يوسف: إنّ أهل مصر وإن ملكت فيهم، فإنهم ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون؛ حيث علم الناس أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم، ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة، أمره جبريل ـ عليه السلام ـ أن يرسله إليه؛ فإنّ فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلي ولا سقيم إلا عوفي، ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: يصر بصيراً؛ كقولك: جاء البناء محكماً، بمعنى: صار، ويشهد له: (فارتدّ بصيراً)، أو: يأت إليّ وهو بصير؛ وينصره قوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: يأتني أبي، ويأتني آله جميعاً، وقيل: يهوذا هو الحامل، قال: أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم إليه، فأفرحه كما أحزنته، وقيل: حمله وهو حاف حاسر[1] من مصر إلى كنعان، وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: خرجت من عريش مصر، يقال: فصل من البلد فصولاً: إذا انفصل

---

٧٩٥ ـ أخرجه النّسائي (٦/ ٣٨٢) رقم (١١٢٩٨)، وذكره البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٥٨)، وأخرجه ابن هشام في السيرة (٤/ ٣٤) رقم (١٦٨١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه النّسائي والبيهقي من رواية ثابت عن عبد الرحمن بن رباح عن أبي هريرة وأتم منه، وأخرجه الثعلبي من رواية سمعان عن عطاء عن ابن عباس بهذا اللفظ وأتم منه، وكذا ذكره ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، وقال فيه: «قدرت فاسمح»، وكذا أخرجه الواقدي في المغازي من حديث برة بنت تجراة، ورواه أبو عبيد في الأموال عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي حسين. انتهى.

٧٩٦ ـ أخرجه ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار وقال: غريب جدا.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده.

---

(١) قوله: «وهو حاف حاسر» أي لا مغفر له ولا درع، أفاده الصحاح (ع).

منه وجاوز حيطانه، وقرأ ابن عباس: فلما انفصل العير، ﴿قَالَ﴾: لولد ولده ومن حوله من قومه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أوجده الله ريح القميص؛ حين أقبل من مسيرة ثمان، والتفنيد: النسبة إلى الفند، وهو الخرف وإنكار العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها، والمعنى: لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني، ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف، ولهجك بذكره، ورجائك للقائه، وكان عندهم أنه قد مات، ﴿أَلْقَاهُ﴾: طرح البشير القميص على وجه يعقوب، أو ألقاه يعقوب، ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: فرجع بصيراً، يقال: ردّه فارتد، وارتده إذا ارتجعه، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني: قوله: (إني لأجد ريح يوسف)، أو قوله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾: كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، روي: أنه سأل البشير كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر، فقال: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: أخر الاستغفار إلى وقت السحر، وقيل: إلى ليلة الجمعة؛ ليتعمد به وقت الإجابة، وقيل: ليتعرّف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل: أراد الدوام على الاستغفار لهم، فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل: قام إلى الصلاة في وقت السحر، فلما فرغ رفع يديه وقال: اللهمّ، اغفر لي جزعي على يوسف، وقلة صبري عنه، واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم، فأوحى إليه: إنّ الله قد غفر لك ولهم أجمعين، وروي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة: ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا، فإن لم يوح إليك بالعفو، فلا قرّت لنا عين أبداً،/ ١٧٥ب فاستقبل الشيخ القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمّن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة، حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: «إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة، وقد اختلف في استنبائهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قيل: وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه، وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا، أهذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ولدك، فلما لقيه، قال يعقوب ـ عليه السلام ـ: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقيل: إن يوسف قال له لما التقيا: يا أبت، بكيت عليّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك، وقيل: إنّ يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون، ما بين رجل وامرأة، وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى، وكانت الذرّية ألف ألف ومائتي ألف، ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمهما إليه واعتنقهما، قال ابن أبي إسحاق: كانت أمه تحيى، وقيل: هما أبوه وخالته، ماتت أمه فتزوّجها وجعلها أحد الأبوين؛ لأنّ الربابة تدعى أمّا؛ لقيامها مقام الأمّ، أو لأنّ الخالة أمّ كما أنّ العم أب، ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟

قلت: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب[1] أو بيت ثم، فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه، ثم قال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، ولما دخل مصر، وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه، أكرم أبويه فرفعهما على السرير، ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ﴾ يعني: الإخوة الأحد عشر والأبوين، ﴿سُجَّدًا﴾، ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال، فأمر أن يرفع إليه أبواه، فدخلا عليه القبة، فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقرّبهما منه، وقال بعد ذلك: ادخلوا مصر.

فإن قلت: بم تعلقت المشيئة؟

قلت: بالدخول مكيفاً بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكأنه قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله، ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً، ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة، مكيفاً بهما، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء؛ لدلالة الكلام عليه، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال، ومن بدع التفاسير أن

---

(١) قوله: «في مضرب» عبارة النسفي: مضرب خيمة (ع).

قوله (إن شاء الله): من باب التقديم والتأخير، وأن موضعها ما بعد قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾: في كلام يعقوب، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره.

فإن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟

قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوها مما جرت عليه عادة الناس، من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير، وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه، وخرورهم سجداً يأباه، وقيل: معناه: وخرّوا لأجل يوسف سجداً لله شكراً، وهذا ـ أيضاً ـ فيه نبوة، يقال: أحسن إليه وبه؛ وكذلك أساء إليه وبه؛ قال [من الطويل]:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةً ..... [1]

﴿مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: من البادية؛ لأنهم كانوا أهل عمد، وأصحاب مواش، ينتقلون في المياه والمراعي، ﴿نَّزَغَ﴾: أفسد بيننا وأغرى، وأصله: من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري، يقال: نزغه ونسغه: إذا نخسه، ﴿لَّطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾: لطيف التدبير لأجله، رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب، وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب، فطاف به في خزائنه، فأدخله خزائن الورق والذهب، وخزائن الحليّ، وخزائن الثياب، وخزائن السلاح، وغير ذلك، فلما أدخله خزانة القراطيس، قال: يا بنيّ، ما أعقك: عندك هذه القراطيس، وما كتبت إليّ على ثمان مراحل؟ قال: أمرني جبريل، قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فسله، قال جبريل ـ عليه السلام ـ: الله تعالى أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قال: فهلا خفتني؟ وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة. ثم عاد إلى مصر، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له، طلبت نفسه الملك الدائم الخالد، فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت، وقيل: ما تمناه نبيّ قبله ولا بعده، فتوفاه الله طيباً طاهراً، فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه: كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال، فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه، ودفنوه في النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً[2]، وولد له: إفرائيم وميشا، وولد لإفرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً» في الصحاح: الناس في هذا الأمر شرع، أي سواء، بحرك ويسكن (ع).

على بقايا دين يوسف وآبائه، إلى أن بعث الله موسى، ﷺ.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

«من» في: ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، و﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: للتبعيض؛ لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا، أو بعض ملك مصر وبعض التأويل، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: طلب للوفاة على حال الإسلام، ولأن يختم له بالخير/ ١٧٦أ والحسنى، كما قال يعقوب لولده: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي أو على العموم، وعن عمر بن عبد العزيز: أنّ ميمون بن مهران بات عنده، فرآه كثير البكاء والمسألة للموت، فقال له: صنع الله على يديك خيراً كثيراً: أحييت سنناً، وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين، فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقرّ الله عينه وجمع له أمره، قال: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

فإن قلت: علام انتصب فاطر السموات؟

قلت: على أنه وصف لقوله: (رب)؛ كقولك: أخا زيد حسن الوجه، أو على النداء.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ ومحله الابتداء، وقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: خبر إنّ، ويجوز أن يكون اسماً موصولاً بمعنى: الذي، و﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: صلته و(نوحيه): الخبر، والمعنى: أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم، وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر؛ كقوله: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه؛ لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من علم قومه، فإذا أخبر به وقصّ هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته، لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تهكم بهم، وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرة، أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية، ونحوه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: بيوسف، ويبغون له الغوائل.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: يريد العموم؛ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أراد أهل مكة، أي: وما هم بمؤمنين، ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾: وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم، ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾: على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى، كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عظة من الله، ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: عامة، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾

﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾: من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾: ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها، وقرئ: (والأرض): بالرفع على الابتداء، ويمرون عليها: خبره، وقرأ السدّي: (والأرض): بالنصب على: ويطؤون الأرض يمرّون عليها، وفي مصحف عبد الله: «والأرض يمشون عليها»: برفع الأرض، والمراد: ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم﴾: في إقراره بالله، وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادته الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكتاب، معهم شرك وإيمان، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم الذين يشبهون الله بخلقه.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾

﴿غَٰشِيَةٞ﴾: نقمة تغشاهم، وقيل: ما يغمرهم من العذاب ويجللهم، وقيل: الصواعق.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق: يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: ادعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء، و﴿أَنَا۠﴾: تأكيد للمستتر في: (أدعو)، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾: عطف عليه، يريد: أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون: (أنا): مبتدأ، و(على بصيرة): خبراً مقدّماً، و(من اتبعني): عطفاً على (أنا): إخباراً مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان، لا على هوى، ويجوز أن يكون (على بصيرة): حالاً

من (أدعو): عاملة الرفع في: (أنا ومن اتبعني)، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: وأنزهه من الشركاء[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾: لا ملائكة؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد ليست فيهم امرأة، وقيل: في سجاح المتنبئة [من البسيط]:

. . . . . وَلَمْ تَزَلْ أَنْبِيَاءُ اللهِ ذُكْرَانَا[2]

وقرئ: «نوحي إليهم»: بالنون[3]، ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ لأنهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي فيهم الجهل، والجفاء والقسوة، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: ولدار الساعة، أو الحال الآخرة، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه، وقرئ: «أفلا تعقلون»: بالتاء والياء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

---

(١) قوله: «وأنزهه من الشركاء» لعله «عن» (ع).

(٢) أضحت نبيتنا أنثى نساء بها ... ولم تزل أنبياء الله ذكرانا
فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ... أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

لقيس بن عاصم. ويروى: نطيف بها، بدل نساء بها. وطاف به يطوف: دار حوله. وطاف به يطيف: أتى عليه ونزل به. وهذا مبني للمجهول منه، عطف على أضحت. ويروى بدل الشطر الأول، فما سمعت بأنثى قط أرسلها، فالفاعل ضمير الله وإن لم يتقدم له مرجع لظهوره. ويروى بدل الثاني: وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا. وسجاح: علم امرأة من سجح إذا سمح وعفا، وهي بنت المنذر، كانت شريفة في قومها بني حنيفة، فادعت النبوة، ثم تزوجت بمسيلمة الكذاب فاتبعه قومها، ثم حاربه أبو بكر رضي الله عنه فقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، فأسلمت بعده وحسن إسلامها. ويروى «باللؤم» بدل الإفك. ولا سقيت: جملة دعائية. والأصداء: جمع صدي، وهو ذكر البوم: كانت العرب تزعم أن عظام رأس القتيل تصير بومة تزقو وتصيح: أدركوني أدركوني، حتى يؤخذ بثأره، وهي هنا مجاز عن جثته كلها. والمزن واحده مزنة وهو السحاب، أي: اللهم اجعل قبره حارا عليه لا يناله غيث.

(٣) قوله: «وقرئ ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ بالنون مبنيا للمعلوم؛ فتكون القراءة الأصلية بالياء، مبنيا للمجهول (ع).

﴿حَتَّىٰٓ﴾: متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام، كأنه قيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾: فتراخى نصرهم حتى استيأسوا عن النصر، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ أي: كذبتهم أنفسهم[1]، حين حدّثتهم بأنهم ينصرون، أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق، ورجاء كاذب، والمعنى: أنّ مدّة التكذيب والعداوة من الكفار، وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت، حتى استشعروا القنوط، وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر[2]، وقال: كانوا بشراً، وتلا قوله: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فإن صح هذا عن ابن عباس، فقد أراد بالظنّ: ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأمّا الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر، فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله/ ١٧٦ب الذين هم أعرف الناس بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح؟ وقيل: وظن المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوا، أي: أخلفوا، أو: وظنّ المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل، أي: كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدّقوهم فيه، وقرئ: «كذبوا»: بالتشديد على: وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم، وقرأ مجاهد: «كَذَبوا»: بالتخفيف، على البناء للفاعل، على: وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة، إمّا على تأويل ابن عباس، وإمّا على أنّ قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قالوا لهم: إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم، أو وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوا، ولو قرئ بهذا مشدّداً، لكان معناه: وظنّ الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم، قرئ: «فننجي»: بالتخفيف والتشديد، من أنجاه ونجاه، «وفنجى»: على لفظ الماضي المبني للمفعول، وقرأ ابن محيصن: «فنجا»، والمراد بـ ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: المؤمنون؛ لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم، وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

---

(١) قال محمود: «معناه يئسوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم... إلخ» قال أحمد: ولا يلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا، بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن إخبار ووحي.

(٢) عاد كلامه. قال: «ونقل عن ابن عباس أنه قال: فظنوا حين ضعفوا وغلبوا... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً تأويل حسن ينظم بين القراءتين؛ لأن ظن الأمم كذب رسلهم تكذيب لهم، فيؤدي مؤدى قراءة التشديد.

الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾: للرسل؛ وينصره قراءة من قرأ: ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾: بكسر القاف، وقيل: هو راجع إلى يوسف وإخوته.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير في: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ فيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى القرآن، أي: ما كان القرآن حديثاً يفترى، ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: قبله من الكتب السماوية، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين؛ لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل، وانتصاب ما نصب بعد: (لكن): للعطف على خبر كان، وقرئ: (ذلك): بالرفع على: ولكن هو تصديق الذي بين يديه.

عن رسول الله ﷺ: «عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُ أَيُّمَا مُسْلِمٍ تَلاهَا وَعَلَّمَها أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ هَوَّنَ الله عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلا يَحْسِدَ مُسْلِماً» (٧٩٧).

---

٧٩٧ ـ ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٦٦) في تفسير سورة يوسف، وقال الزيلعي: رواه الثعالبي في تفسيره عن أُبيّ بن كعب وهو حديث ضعيف، وعزاه الزيلعي لابن مردويه في تفسيره بسنديه المذكورين في آل عمران، وللواحدي في تفسيره الوسيط بسنده المذكور في سورة يونس، وينظر حديث (٣٤٦).
وقال الحافظ: تقدم إسناده في تفسير آل عمران وهو في آخر آل عمران، وفي آخر الكتاب أيضاً. انتهى.